الفصل الثاني
علاقة الأندلس بدويلات المغرب في عصر الإمارة الأموية
(138 ـ 316 هـ / 755 ـ 928 م)

قيام الامارة الأموية في الأندلس :

استطاع عبد الرحمن الداخل ، أن يحي الدولة الأموية في الأندلس بعيدا عن مقر الخلافة العباسية في بغداد ، بعد ست سنوات فقط ، من انقراض دولة آبائه وأجداده في دمشق . وكان ذلك في اليوم العاشر من ذي الحجة ،سنة 138 هـ / 756 م . حيث دخل قرطبة دخول المنتصر ، بعد يوم واحد من المعركة (1) .

لقي عبد الرحمن الداخل صعابا جمة أثناء حكمه الأندلس ، الذي دام أكثر من ثلاث وثلاثين سنة ، قضى معظمها في اخماد الفتن والاضطرابات ، ومقارعة المناوئين ، ولاسيما منهم العرب اليمانية .

لا شك أن المساعدة التي قدمها هؤلاء اليمنيون في أول الأمر ، لم تكن عن اخلاص صادق ، ولا ولاء تام ، وإنما كانت بوازع الرغبة في الانتقام من خصومهم المضرية ، فقد كانت بينهم أيام مشهورة خلت في موقعتي « مرج راهط (2)

---

(1) أخبار مجموعة ، ص 86 ، المقري : السابق ، جـ 4 ص 31 .

(2) مرج راهط هي موقعة حدثت بالقرب من مدينة دمشق ، عاصمة الخلافة الأموية في بداية عهد مروان ، بن الحكم بالخلافة بين العرب اليمنية أصحاب مروان وبين الضحاك بن قيس زعم العرب المضرية ، ومؤيد عبد الله الزبير في ثورته على بني أمية . وفيها قتل الضحاك وعدد كبير من المضرية . راجع التفاصيل في دوزي : المرجع السابق ، جـ 1 ص 76 وما يليها .

و « شقندة » كان زعيم اليمنية في غرب الأندلس (1) ، أبو الصباح بن يحي اليحصبي قد عبر عن هذه النوايا المعادية لعبد الرحمن الداخل ، بقوله لثعبلة بن عبيد الجذامي ـ أحد قواد جند فلسطين ـ بعد انتصاره في معركة « المصارة » : « يا ثعلبة هل لك رأي في فتحين في فتح ، قال له ثعلبة : وكيف ذلك ؟ قال أبو الصباح : قد استرحنا من يوسف ، فاسترح بنا من هذا (يعني عبد الرحمن الداخل) وتكون الأندلس قحطانية » (2) .

لكن عبد الرحمن تمكن من التغلب عليهم بفضل حزمه وصرامته وبعد نظره ، كما يرجع الفضل أيضا في تثبيت ملكه ، وتوطيد سلطانه في الأندلس الى الوزراء ، والحجاب ، والقواد الذين أحسن اختيارهم من بين مواليه أمثال : عبيد الله بن عثمان ، وعبد الله بن خالد ، ويوسف بن بخت ، وتمام بن علقمة فقد ساهم هؤلاء جميعا ، بكل جدية واخلاص في أدخاله الى الأندلس ، ومنحوه كل التأييد ، وتفانوا في سبيل توطيد أركان دولته . وكذلك ساعده انعدام الاتحاد بين خصومه ، وسهل له مهمة التخلص منهم ، الواحد تلو الآخر ، وهي السياسة التي أنتهجها في ضرب الأعداء منفردين كي يسهل عليه القضاء عليهم الواحد بعد الآخر (3) .

وكان عبد الرحمن الداخل ، قد سلك سياسة التسامح واللين في أول عهده ، مع المتمردين من أفراد رعيته ، بيد أنه سرعان ماتخلى عن هذه السياسة ، لمّا وجدها لاتجدى مع هذه الرعية القلقة ، غير المنسجمة ، والتي لم يجد منها الا العناد والتحدى ، لذلك لجأ الى اتخاذ سياسة أخرى تتسم بالعنف ، وبالضراوة تارة ، وبالمكر وبالخديعة تارة أخرى (4) .

وكيفما كان الحال ، فقد استطاع الأمير عبد الرحمن الداخل ، أن يتلون ويتكيف مع الظروف ، بحيث قهر الخصوم ، وأطفأ نار الفتنة بين اليمنيين والقيسيين ، وحاول أن يوفق بين الأعراب البلديين والشاميين ، وأن يعزز موقفه منهم بفتح الأندلس ، أمام طبقات النازحين اليها ، من بلاد المشرق من أفراد عائلته وأقربائه . وأنصاره ومؤيديه من بلاد افريقية والمغرب ، سواء أكانوا عربا ام بربرا .

---

(1) ابن القوطية : المصدر السابق ، ص 17
(2) نفس المصدر ، ص 23
(3) د . أحمد مختار العبادي : المرجع السابق ، ص 107.
(4) دوزي : تاريخ مسلمي إسبانيا جـ 1 ص 221

وقد أكثر عبد الرحمن الداخل ، من شراء الموالي والعبيد والعجم ، كما أنه استقدم أعدادا كبيرة من بربر زناتة من العدوة المغربية ، وأحسن اليهم وأدخلهم في ديوان الجند ، وجمع من هؤلاء وأولئك ، جيشا كثيفا بلغ عدده نحو أربعين ألف مقاتل ، كانوا جميعا رهن أشارته ، ولا يرون طاعة غيره ، ويشير ابن حيان الى ذلك بقوله : « واستكثر ـ يعني عبد الرحمن الداخل ـ منهم ـ أي من البربر ومن العبيد ، فاتخذ أربعين ألف ؟ رجل ، صار بهم غالبا على أهل الأندلس ، فاستقامت مملكته وتوطدت » (1) .

ولعل عبد الرحمن الداخل أول أمير أندلسي ، وضع أساسا لجيش أندلسي منظم ، معظم أفراده من الموالي والعبيد والبربر ، واختار منهم رؤساء قواته ، وأبعد عنه العناصر العربية التي ارتاب منها ، لكثرة من ثار عليه منهم ، وهو تصرف خرج به عن قاعدة أسلافه المألوفة ، الذين كانوا يؤثرون العنصر العربي ، عن غيره من الأجناس المسلمة الأخرى .

كما عمد عبد الرحمن الى اصلاح شؤون البلاد ، فنظم الادارة وثبت السلطة ، وأعاد لها هيبتها ، فارتفعت بذلك امارته ، الى مصاف الدول الكبرى المستقلة (2) . ويذكر ابن حيان هذا التطور حيث يقول : « وأخذهم بالآداب ـ أي عبد الرحمن ـ فأكسبهم عما قليل المروءة ، وأقامهم على الطريقة ، وبدأ فدون الدواوين ، ورفع الأواوين ، وفرض الأعطية ، وعقد الألوية ، وجند الاجناد ، ورفع العماد ، واوثق الأوتاد ، فاقام للملك آلته ، وأخذ للسلطان عدته ، فاعترف له بذلك أكابر الملوك ، وحذروا جانبه ، وتحاموا حوزته ، ولم يلبث أن دانت الأندلس واستقل له الأمر فيها » (3) .

وأعلن عبد الرحمن بن معاوية استقلاله عن الخلافة العباسية في بغداد ، فقطع الدعاء لهم ، وأمر بلعنهم على المنابر (4) ، وتختلف المصادر في تقدير المدة

---

(1) المقري : نفح الطيب جـ 2 ص 36 . .

(2) د . السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، ص 206 .
« « « « : قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس ، جـ 1 ص 46 بيروت سنة 1971 م .

(3) المقري : نفح الطيب ، جـ 1 ص 310

(4) ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ 2 ص 48

التي دعى فيها للخليفة العباسي الثاني ، أبي جعفر المنصور (136 هـ ـ 158هـ / 754 ـ 775 م) ، على منابر الأندلس ، في عهد عبد الرحمن بن معاوية . فبينما يشير ابن الآبار الى أنها قطعت بعد أشهر دون السنة (1) . يحددها المقري بعشرة أشهـر(2) .

أما ابن حزم فيذكر أن الخطبة لبني العباس ، استمرت عدة سنوات (3) ، وهناك من المؤرخين من يجعلونها تستمر الى عهد عبد الرحمن الناصر (300 ـ 350 / 912 ـ 961 م) ، أمثال ، ابن الكردبوس (4) وابن أبي دينار (5) .

والظاهر أن الدعاء لبني العباس لم يدم طويلا ، حيث قطع بعدما دخل أحد كبار أفراد العائلة الأموية الى الأندلس ، سنة 140 هـ / 660 م ، وهو عبد الملك بن عمر بن مروان الملقب بالمرواني (6) ، الذي أصر على ترك الدعاء لبني العباس أو الانتحار ، فاستجاب له الأمير عبد الرحمن . ولكنه لم يتخذ لقب الخلافة ، وانما اكتفى بلقب ابن الخلائف ، اعترافا منه بأن الخلافة لا تتجزأ ، وأن صاحبها هو حامي الحرمين الشريفين (7) . وحذا حذوه خلفه من بعده ، الى أن تولى الامارة

---

(1) ابن الآبار : الحلة السيراء ، ج 1 ص 35

(2) المقري : نفح الطيب ، ج 4 ص 59

(3) ابن حزم (أبو محمد علي بن سعيد) : نقط العروس في أخبار بني أمية بالأندلس ، ص 75 نشره د . شوقي ضيف بمجلة كلية آداب القاهرة ، ديسمبر 1951 م .

(4) ابن الكردبوس : المصدر السابق ، ص 60 وما يليها

(5) ابن أبي دينار (أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم) : المؤنس في أخبار افريقية وتونس ، ص 42 وما يليها الطبعة الأولى تونس 1286 هـ .

(6) بعد أن أستتب الأمر لعبد الرحمن بن معاوية في الأندلس ، وفد عليه عدد كبير من بني أمية سنة 140 هـ / 757 ، وكان من بينهم عبد الملك بن عمر بن مروان ، الملقب بالمرواني ، وكان أبوه عمر بن مروان بن الحكم في كفالة أخيه عبد العزيز بن مروان بمصر . فلما دخلت السودة أرض مصر ، خرج منها يؤم الأندلس في عشرة من رجال قومه ، مشهورين بالبأس وبالنجدة ، فعقد له على اشبيلية ولابنه عمر بن عبد الملك على كورة مورور ، وكان لهما دور كبير في ترسيخ اقدام الأمويين في شبه جزيرة الأندلس ، وتشير المصادر إلى أنه الزم الأمير بقطع الدعاء لبني العباس ، وقال له : «اقطعها وإلا قتلت نفسي» أنظر : المقري المرجع السابق ، ج 1 ص 308 ، النويري المصدر السابق ، ج 22 ورقة (6) .

(7) د . أحمد مختار العبادي : في تاريخ المغرب والأندلس ، ص 103

عبد الرحمن بن محمد ، فأعلن نفسه خليفة ، وتسمى بالناصر لدين الله سنة 316 هـ / 928 م ، وسيأتي الحديث عنه .

محاولات بني العباس لبسط نفوذهم على المغرب والأندلس :

لم يهدأ للخليفة أبي جعفر المنصور بال ، ولم يقر له قرار ، ما لم يتحقق له اعادة الوحدة ، للعالم الاسلامي تحت نفوذه ، ولا سيما المغرب والأندلس ، اللتين انفصلتا عن السلطة المركزية في بغداد منذ مدة ، لم يستطع أبو جعفر المنصور أن يعمل شيئا تجاه الجناح الأيسر للعالم الاسلامي (المغرب والأندلس) ، لأنه كان مشغولا بتوطيد أركان دولته ، وتدعيم سلطانه ، الذي اهتز على أثر ثورة عمه عبد الله بن علي ، مطالبا بالخلافة لنفسه ، كما سخط عليه الفرس وعلى رأسهم ، أبو مسلم الخراساني (مؤسس الدولة العباسية) ، ولم يسكت عليه أيضا الشيعة العلويون .

وكان أبو جعفر المنصور حازما صارما ، فقد تمكن من قتل عمه ، وتخلص من القائد الفارسي ، أبي مسلم الخراساني ، وكذلك أثخن جراح الشيعة بقتل محمد النفس الزكية في الحجاز ، والحق به أخاه ابراهيم بن عبد الله في العراق (1) . اجتمعت هذه الأسباب من جهة ، وبعد المسافة بينه وبين المغرب والأندلس ، من جهة أخرى ، لتشغل الخليفة أبي جعفر المنصور عدة سنوات ، عن التدخل في العدوتين المغربية والأندلسية ، وحالت بينه وبين ارسال حملات وبعوث عسكرية ، لاخضاع الثائرين بهما ، وأعادتهما الى حظيرة الخلافة العباسية .

وكانت افريقية والمغرب الأوسط قد خرجتا عن سلطة الخلافة ، باستيلاء عبد الرحمن الفهري عليها ، وحتى بعد انقراض الأسرة الفهرية على يدقبيلة ورفجومة (2) ،

---

(1) د. حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، جـ 2 ص 29 مكتبة النهضة المصرية القاهرة سنة 1959 م .

(2) قبيلة ورفجومة بطن من بطون «نفزة» ، اتخذت من مباديء الخوارج الصفرية مذهبا لها ، وأصبحت من غلاة هذا المذهب في افريقية والمغرب ، وقيل أن زعيمها عاصم بن جميل كان كاهنا أدعى النبوة ، وعند احتلاله لمدينة القيروان ، استحل الحرمات وسبي النساء والأطفال ، وربط الدواب في جامعها ، وهذا هو السبب الذي جعل أباضية طرابلس يبرعون إلى القيروان ، لإنقاذها من عبث ورفجومة . وتظاهر عاصم بالدعوة لبني العباس ، ولما تولى عمر بن حفص ولاية افريقية ، أنزل هذه القبيلة بمدينة طبنة قاعدة اقليم الزاب ، سنة 151 هـ / 771 م ، لتساعده على صد هجمات الخوارج . أنظر : ابن خلدون جـ 2 ص 231 ، 232 وعن استيلاء وَرْفجومة للقيروان أنظر : الرقيق القيرواني ، تاريخ افريقية والمغرب ، ص 141 ـ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، جـ 4 ص 280 ، ابن هذارى : البيان المغرب ، جـ 1 ص 70 .

الصفرية ، التي استولت على مدينة القيروان ، سنة 140 هـ 760 م ، بقيادة زعيمها عاصم بن جميل ، ثم أخرجهم منها الخوارج الاباطية ، بزعامة أبي الخطاب عبد الأعلى المعافري (1) ، سنة 141 هـ / 761 م .

عقد أبو الخطاب لعبد الرحمن بن رستم ، على ولاية القيروان ، وعاد الى طرابلس ، يعد العدة للقاء الجيش العباسي ، الذي جاء لاسترداد المغرب الى نفوذ الخليفة ، بقيادة أبي الأحوص العجلي ، سنة 142 هـ /662 م وتقابل الجيشان بمنطقة « مقداس » على شاطيء البحر ، كانت فيها الدائرة على الجيش العباسي فهزم وعادت فلوله الى مصر(2) .

لم ييأس أبوجعفر المنصور من هذه الهزيمة ، وأصر على معاودة الكرة مرة أخرى ، فأنفذ جيشا أكثر عدة وعددا من الأول ، اذ بلغ أربعين ألف مقاتل ، قوَّد عليه محمد بن الأشعث ــ والي مصر آنذاك ــ وأمره بالخروج الى افريقية . ولأهمية هذه الجولة فقد رمى أبوجعفر المنصور بكل ثقله فيها ، حيث أضاف الى القائد العام ابن الأشعث ثمانية وعشرين من كبار قوادة ، من بينهم ، الأغلب بن سالم التميمي ، والمحارب بن هلال ، والمخارق بن غفار الطائي (3) ، توجهوا جميعا الى أبي الخطاب الذي كان معسكرا بجيشه ، المتكون من قبيلتي ، زناتة وهوارة بنواحي « سرت » ، ينتظر قدوم ابن الأشعث (4) ، وقد استطاع هذا الأخير أن ينزل بهم هزيمة نكراء ، بعد أن بعث في صفوفهم الفرقة ، فقتل العديد منهم ، وكان من بينهم أبو الخطاب نفســه .

---

(1) أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري ، من وجوه العرب الذين تقبلوا المباديء الخارجية على المذهب الأباضي ، وهو واحد من حملة العلم الخمسة ، الذين أخذوا أصول الأباضية بالبصرة ، على يد أبي عبيد الله المسلم ، وبايعته أباضية طرابلس إماما عليهم ، سنة 140 هـ / 757 م ، وقد امتد نفوذه من خليج سرت شرقا إلى قابس غربا . أنظر : د . السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، جـ 2 ص 339 .

(2) ابن عذارى : البيان جـ 1 ص 71 ــ ويذكر كل من ابن خلدون والسلاوي أن المنطقة التي دارت فيها هذه المعركة هي « سرت » أنظر : كتاب العبر جـ 4 ص 411 ، والاستقصا جـ 1 ص 57 .

(3) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ 1 ص 72

(4) نفس المصدر والصفحة . ويذكر المؤرخ الأباضي الدرجيني أن لقاء الجيشين كان بموضع يقال له « بتاروغا » تبعد بمراحل من طرابلس على بعد مسيرة (8) أيام ويضيف نفس المؤرخ أن عناصر جيش أبو الخطاب هي قبائل هوارة ونفوسة وزويشة راجع : الدرجيني (أبو العباس) طبقات المشايخ بالمغرب ، جـ 1 ص 24 تحقيق إبراهيم طلاي مطبعة البعث ، بقسنطينة 1974 م .

وظن ابن الأشعث ، أنه سوف يجد الطريق مفتوحا أمامه ، الى عاصمة افريقية مدينة القيروان ، ولكنه فوجيء بظهور قوة أخرى ، تتكون من ستة عشر ألف مقاتل ، يقودها أبو هريرة الزناتي ـ أحد قواد أبي الخطاب فأشتد القتال بينهما ، الى أن تمكن ابن الأشعث من تمزيق صفوفهم ، وهزمهم في ربيع الأول ، سنة 144 هـ / 761 م (1) .

وبعد ذلك دخل مدينة القيروان دخول المنتصر ، وأعاد ولاية افريقية للخلافة العباسية ، أما عبد الرحمن بن رستم ، الذي كان عاملا لأبي الخطاب على القيروان ، منذ سنة 141 هـ /758 م . فقد أسرع بالفرار ناجيا بأهله وولده ، عندما حلت الهزيمة بصاحبه أبي الخطاب ، فلجأ الى قبيلة لَمَّاية ، لحلف كان بينهم (2) . ثم أنتقل الى المغرب الأوسط حيث شرع في بناء مدينة تاهرت (3) .

بينما ظل المغرب الأقصى منفصلا عن الخلافة ، ولم يعد تابعا لها ، لا من الناحية الإدارية ولا السياسية ، منذ ثورة الخوارج الصفرية بقيادة ميسرة المطغري ، سنة 122 هـ / 739 م .

وكان قد تمخض عن هذه الثورات التي قامت في المغرب ، نشوء بعض الدويلات في المغربين الأوسط والأقصى ، مستقلة عن الخلافة في بغداد . مثل دولة برغواطة في تامسنا (4) ، ودولة بني واسول في سجلماسة (5) ، كما أستقر بنو يفرن ، ومغراوة

---

(1) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ 1 ص 72

(2) ابن خلدون : كتاب العبر ، جـ 6 ص 247 ـ السلاوي : الاستقصا ص 57

(3) الدرجيني : طبقات المشايخ بالمغرب ، جـ 1 ص 35

(4) تامسنا Tamasna : لفظة بربرية من لهجة زناتة ، ومعناها البسيط الخالي ، وتشتمل على الأراضي الممتدة على ساحل المحيط الأطلسي ، من الرباط إلى ما وراء الدار البيضاء ، حتى مصب وادي أم الربيع بمنطقة دكالة . وهي الآن تكسوها المزارع والعمران ، بينما كانت في الماضي ، أرضا من سدرة وعليق ترعى فيها الأغنام ، وهذه المنطقة هي المكان الذي نشأت فيه دولة برغواطة المارقة على الدين الإسلامي ، وقد دخلت في صراع عنيف مع الأدارسة ، وغيرهم . ممن حكموا المغرب الأقصى مثل : مغراوة وبني يفرن وبني أمية والمرابطين ، ثم الموحدين كما سنرى . أنظر : ابن الخطيب : أعمال الإعلام ، القسم الثالث ص 180 حاشية رقم (3) تحقيق د . أحمد مختار العبادي ومحمد إبراهيم الكتاني ، دار الكتاب بالدار البيضاء سنة 1964 م. ومقال لنفس المحقق ، الصفحات الأولى من تاريخ المرابطين ص 57 حاشية رقم (1) مجلة كلية آداب الاسكندرية عدد 21 ، سنة 1967 م .

(5) سجلماسة (بكسر السين والجيم وسكون اللام) مدينة مندرسة في أقصى جنوب المغرب بالقرب من مدينة

ومغيلة بتلمسان (1) ، أما الخوارج الاباضية ، فقد انتشروا في مناطق مختلفة في «تاهرت» وجبل نفوسة ، ومدينة طرابلس وضواحيها ، بينما لم يتعدَّ نفوذ الدولة العباسية حدود افريقية ، التي أصبحت يحيط بها بحر متلاطم من الأعداء ، الخوارج الصفرية والاباضية . يتربصون بها في كل حين .

هذا ما آل إليه المغرب في الوقت الذي كان فيه عبد الرحمن الداخل في الأندلس ، منشغلا بتشييد دولته ، وتوطيد أركان سلطانه . وربما يمكن القول وبدون حرج ، أن الانتفاضات البربرية التي عمت المغرب ، وخروجه عن السلطة المركزية في بغداد . كانت من العوامل المساعدة ـ سواء بطريق مباشر أو غير مباشر ـ في نجاح عبد الرحمن الداخل ، في بناء ماطمس من معالم الخلافة وآثارها لبني أمية بالشام ، وساعدت على ترسيخ أقدامه بالأندلس .

وكان الانتصار الذي أحرزه الجيش العباسي ، على الخوارج الاباضية في طرابلس وافريقية قد حقق المرحلة الأولى ، من الخطة التي رسمها الخليفة أبو جعفر المنصور ، لاعادة الوحدة للدولة الاسلامية ، وبالتالي أصبح قريبا من سواحل الأندلس ، حتى يسهل عليه مناوشة أعدائه الأمويين .

= الريساني ، في إقليم تافيلالت ولا زالت أطلالها موجودة ، ويسميها سكان تلك المنطقة بالمدينة المعاصرة ، ويذكر صاحب كتاب الاستبصار أنه يسكنها قوم رحالون ، بنيت سنة 140 هـ / 757 م ، وكان موضعها عبارة عن سوق تتسوق إليه البربر ، بتلك النواحي ، والذي بناها هو عيسى بن يزيد الأسود ، وقد جذبت كثيرا من التجار ، لأنها تعتبر مركزا لتجارة الذهب . واختص اليهود بهذه التجارة لما فيها من أرباح طائلة كما يشير صاحب الاستبصار (ص 202) أنظر : الاستبصار ص 200 ، 202 البكري : المغرب ص 148 وما يليها ابن الخطيب : أعمال الإعلام ، ص 138 هامش رقم (2) القسم الثالث .

(1) تلمسان : مدينة تقع في الغرب الجزائري في منطقة وهران . والكلمة صيغة جمع للفظة البربرية تلمامس ومعناها الغدير أو النبع . والمدينة ، كانت عبارة عن قرية صغيرة كان يطلق عليها « أغـاديـر » . التي أسس على أنقاضها المدينة الحالية ، المولى إدريس الأول ، وكانت تسكنها حسب ما جاء في كتاب ابن خلدون ، قبائل بني يفرن ، ومغراوة ، ومغيلةالزناتية. وعندما ضعفت الدولة الإدريسية استقل بها البربر ، وكانوا يدعون لخلفاء بني أمية في الأندلس ، ولما فتحها المرابطون أسسوا بجوارها معسكرا . أطلقوا عليه إسم تاكرارت وهي كلمة بربرية بمعنى المعسكر ، ولم تلبث المدينتان أن اندمجتا في مدينة واحدة « تلمسان » الحالية ، وقد نمت هذه المدينة في عهد المرابطين والموحدين ، وازدهرت حضارتها عندما أصبحت عاصمة للدولة بني زيان ، أو بني عبد الواد وتطعمت بالحضارة الأندلسية عندما سكنتها جاليات أندلسية ، من المهاجرين اليها بعد الاسترداد المسيحي في الأندلس ، فأعطوها طابعا مميزا على باقي المدن الجزائرية . ولا تزال تتمتع بهذا الطابع الأندلسي الأصيل إلى اليوم . وتشتهر مدينة تلمسان الجزائرية في الوقت الحاضر بالموشحات الأندلسية . وفساتينها التقليدية المطرزة بالذهب . ولا يتصاهرون إلا مع أهل المدينة : أنظر : أعمال الإعلام ، ص 61 هامش (1) .

وكان أبو جعفر المنصور ، قد غضب غضبا شديدا لنجاح هذا الأموي الشريد ، في تأسيس دولة له بالأندلس ، وحز في نفسه ، أن يكون لبني أمية ملك يقاسم بني العباس في ممتلكات الخلافة ، فرغب في التخلص منهم ، وعزم على اقتلاع جذورهم من الأندلس ، كما عمل أبو العباس من قبل ، على استئصال شأفتهم من دمشق .

محاولة العباسيين الأولى لاعادة الأندلس الى دار الخلافة :

تعددت الثورات في عهد عبد الرحمن الداخل ، وتشعبت روافدها حتى أصبح من العسير حصرها ، ولعل أهمها تلك التي كانت بايعاز من الخليفة أبي جعفر المنصور ، وبمساعدة ولاة افريقية والمغرب . ويجدر بي أن أورد هنا ثورتين خطيرتين على سبيل المثال لا الحصر ، كادتا أن تذهبا بحكم عبد الرحمن الداخل في الأندلس ، ولأن كل واحدة منهما تلقت الامدادات والمساعدات السياسية والعسكرية من افريقية والمغرب .

اتفق جعفر المنصور مع زعيم عربي ، من سكان مدينة باجة (1) هو « العلاء بن مغيث الجذامي » (2) ، ووعده بامارة الأندلس ان هو تغلب على خصمه ، عبد الرحمن بن معاوية أمير قرطبة ، واعادة الأندلس الى ممتلكات الخلافة ، كما كانت في السابق ، وبعث له باللواء وسجل التعيين ، فتسلمهما العلاء وعبر البحر من افريقية بمن تجمع له من المرتزقة (3) ، الى ناحية من نواحي مدينة باجة Béja سنة 146 هـ / 763 م .

أخذ العلاءُ يدعو للعباسيين سِرّاً ، فاجتمع له عدد كبير من المؤيدين والأنصار ، ولاسيما العرب اليمانية ، الذين التفوا حول هذا الداعي العباسي ، يدفعها في ذلك

---

(1) تقع مدينة باجة الأندلسية Beja جنوب غرب الأندلس ، وتقع حاليا جنوب البرتغال ، انظر : 101 . L. Provençal: Histoire T.1. p. 101

(2) ابن القوطية : افتتاح الأندلس ، ص 25 ـ ابن عذارى : المصدر السابق جـ 2 ص 51 ـ وقد اختلفت المصادر في نسبه تارة تسميه الجذامي وأخرى اليحصبي وثالثة الحضرمي ـ أنظر : المقري : نفح الطيب جـ 1 ص 311 ، جـ 1 ص 35 ـ أخبار مجموعة ص 101 ، أنظر ابن الأثير : الكامل جـ 5 ص 21 ، دوزي : المرجع السابق جـ 1 ص 222 هامش رقم (1) .

(3) يذكر المقري ، أن عدد الذين عبروا من افريقية مع العلاء ،كان قليلا إذ يقول : « وكان قد وصل ـ أي العلاء ـ من افريقية على أن يظهر الراية السوداء بالأندلس ، فقد دخل في ناس قليلين فأرسى بنواحي باجة أنظر : نفح الطيب ، جـ 4 ص 36 .

حقدها الشديد للأمير الأموي ، الذي حد من نفوذهم وسلطانهم ، بل أبعدهم عنه لمَّا ارتاب منهم ، ومال صراحة الى العرب المضرية أعداء اليمنية التقليديين .

استطاع العلا بن مغيث أن يستولي على غرب الأندلس (1) ، وكان عبد الرحمن الداخل يومئذ ، قد خرج لاخماد ثورة قامت في مدينة طليطلة (2) ، فلما بلغه خروج العلاء عليه ، عاد لتوه اليه يطوي المراحل ، لكنه لم يجد بدا من التقهقر أمام كثرة أنصار العلاء ، ولجأ إلى حصن « قرمونة » ـ شرق أشبيلية ـ فضرب العلاء وجنده عليه حصارا محكما ، دام نحو شهرين ، حتى كاد الأمير الأموي أن يلقي مابيده ويستسلم للثوار ، لولا أن أسعفه الحظ ، بتخلخل صف الثائرين وبتفرق بعضهم ، وبعودة الكثير منهم الى كورهم ومنازلهم ، وذلك بسبب طول الحصار ونقص مؤونتهم (3) . فلما رأى عبد الرحمن الداخل ماآل اليه أمر هؤلاء الثوار ، أضرم النار باحد أبواب الحصن ـ باب أشبيلية ـ وأمر بجفون سيوفهم فاحرقت وصاح في أصحابه ، يبعث في نفوسهم النخوة والحمية (4) ، من جديد ، ثم قال لهم : « اخرجوا معي لهذه الجموع خروج من لايحدث نفسه بالرجوع » (5) . فاندفع بذلك أصحابه خلفه . وكان عددهم نحو سبعمائة مقاتل ، فاخترقوا صفوف العلاء ، وأنزلوا بهم هزيمة نكراء ، حيث قتل عدد كبير منهم ، وعلى رأسهم قائدهم العلاء بن مغيث ، الذي اجتز رأسه ، وطيف به في الشوارع ، ثم استفرغ وحشي بالملح والكافور ، ووضع في سفط ، بعد أن لفوه في لواء المسودة ، ووضعوا معه كتاب التعيين . ثم أرسله عبد الرحمن الداخل ، مع أحد التجار ، الى مكة المكرمة حيث صادف حج الخليفة المنصور في تلك السنة ، فوضعه التاجر أمام سرادق الخليفة ، فلما رآه المنصور فزع من هذا المنظر وقال : « عرضنا هذا المسكين البائس ـ يعني العلاء ـ للحتف مافي هذا الشيطان مطمع ، فالحمد لله الذي صير هذا البحر بيننا وبينه » (6) .

---

(1) ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ 2 ص 52

(2) نفس المصدر والصفحة ، وهي ثورة قام بها هشام بن عبد ربه الفهري . ربما أراد أن يمهد لحملة العلاء ـ كما يشير ، الأستاذ المرحوم عبد الحميد العبادي ـ ثار في مدينة طليطلة ودعا لبني العباس ، وكأنه أراد أن يشغل الأمير عبد الرحمن عن ثورة العلاء . أنظر : المجمل في تاريخ الأندلس ص 79 . القاهرة 1958 م .

(3) ابن القوطية : افتتاح الأندلس ، ص 25

(4) د . أحمد مختار العبادي : في تاريخ المغرب والأندلس ، ص 105

(5) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ 2 ص 51

(6) ابن القوطية : افتتاح الأندلس ، ص 25 ـ 26 ـ ابن عذارى : البيان ، جـ 2 ص 52 ـ المقري : نفح الطيب ، جـ 4 ص 36 .

أما باقي القتلى ، من مشاهير أصحاب العلاء القادمين معه من افريقية . فقد قطعت رؤوسهم أيضا ، وكتب اسم كل واحد منهم ، على بطاقة علقت في أذنه ، وأرسلت هي الأخرى الى مدينة القيروان (مقر الولاة العباسيين) . والقيت في احدى أسواقها ، ومعها كتاب سجل فيه خبر مقتل العلاء وأصحابه ، فانتشر خبرهم بين الناس (1) .

وقد اعترف الخليفة أبو جعفر المنصور نفسه ، ونوه بشجاعة هذا الأموي الطريد الشريد ، وأطلق عليه لقب « صقرقريش » (2) .

وكانت هذه أول محاولة وآخرها ، في عهد الخليفة أبي جعفر المنصور . واذا كان المنصور لم ينجح في القضاء ، على عبد الرحمن الداخل حربيا ، فقد نجح الى ـ حدما ـ سياسيا ، اذ وضع أساسا لهذه السياسة ، التي سار عليها خلفه في معاداة بني أمية في الأندلس . وكان أبو جعفر المنصور أول من طرق باب الفرنجة في الغرب ، حيث رغب في محالفة الملك « بيبن » Pépin (134 ـ 151 هـ / 751 ـ 768 م) ، ضد خصمه عبد الرحمن ، فأرسل الى بلاطه . وفدا أقام عنده عدة سنوات ، ثم عاد الى بغداد وبرفقته سفارة ممائلة من الفرنجة ، أستقبلها الخليفة ثم عادت إلى بلدها ، محملة بالهدايا الشرقية الثمينة (3) .

ومما لاشك فيه أن عبد الرحمن الداخل ، لم يبق مكتوف الأيدي حيال هذه المناورات العباسية واستفزازاتها ، التى باتت تهدد أمنه في عقر داره ، اذ قام بالدفاع عن سلطانه ، بكل حزم وشدة ، وأخذ يطارد دعاة المسودة ، ويتعقبهم أينما كانوا وحيثما وجدوا على أرض الأندلس . وبما أن وضعه الداخلي ، لا يسمح له بتوجيه حملات عسكرية انتقامية ضد بني العباس ، فقد فضل أن يتوجه الى أصدقائه ، من بربر بلاد المغرب ، الذين يثق بهم ، ولا سيماتلك القبائل التي أجارته ، بعد فراره

---

(1) أخبار مجموعة ، ص 103 ـ ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ 2 ص 52 ـ المقري : المصدر السابق ، جـ 1 ص 311 .

(2) أنظر : ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، القسم الثاني ص 9 ، 10 ـ تحقيق ليفي بروفنسال بيروت 1956 .

(3) د . حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام ، جـ 2 ص 229 .

من المشرق ، مثل أخواله من قبيلة « نفزة » وبني رستم وشيخ مغيلة ، أبو قرة المغيلي الذي نال عنده حظوة كبيرة ، فقد مكث عنده نحوسنتين كاملتين (1).

والظاهر أن اعتماده ، كان كبيرا على الفرق الزناتية ، التي كانت تعبر من المغرب الى الأندلس بانتظام ، لتغذي جيشه بالمقاتلين الأشداء (2) .

وتذهب بعض المصادر ، الى أن قبيلة زناتة البربرية ، كانت تدين بالولاء لبني أمية منذ عهد الخليفة الراشدي الثالث عثمان بن عفان (23 ـ 35 هـ / 643 ـ 655 م) وكانوا يظاهرون المروانية في الأندلس ، رعيا لهذا الولاء (3) ، ولعل هذا هو السر في بقاء بني يفرن ومعراوة (من بطون زناتة) ، محافظين على المذهب السني ومتمسكين به (4) . وهوالمذهب الرسمي للامارة الأموية في الأندلس .

وكان أبو قرة المغيلي (اليفرني) (5) ، قد سار الى الأندلس لمَّا أستتب أمر عبد الرحمن بن معاوية بها ، فاستقبله الأمير في قرطبة استقبالا حافلا ، ورحب به ، ونال عنده مكانة خاصة ، اذ قربه وأحسن إليه والي زوجته «تكفات» (6) . وشكر لها شجاعتها وحسن صنيعها عندما قامت بتخبئته تحت ثيابها ، لمَّا أقبل جند أمير

---

(1) ابن عذارى : البيان المغرب جـ 2 ص 41

(2) H. Fournel : Etude sur la conquête de l'Afrique par les Arabes qui ont occupé le Maghreb central, T. I., p. 99, Paris. 1881.

(3) ابن حيان : المقتبس مخطوط ورقة رقم 105 مؤلف مجهول : مفاخر البربر ، ص 5 ، نشر ليفي بروفنسال الرباط 1934 ويظيف ابن خلدون أن زناتة ، كانت تدين بالولاء لبني أمية ، فقد هاجر أميرهم صولات بن وزمار إلى المدينة ، حيث وفد على أمير المؤمنين عثمان بن عفان ، فأحسن لقاءه ، وعقد له على قومه ووطنه فانصرف إلى بلده ، مغتبطا بالدين الجديد ـ مظاهرا لبني أمية ، وقيل أنه أخذ أسيرا لأول الفتح ، فأطلق الخليفة عثمان بن عفان سبيله بعد أن أسلم ، وعقد له على قومه وبلده ، فاختص صولات بولاء بني أمية أنظر : كتاب العبر ، جـ 7 ص 50 .

(4) ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ص 463 تحقيق ليفي بروفنسال دار المعارف بالقاهرة 1948 ـ ابن خلدون : المصدر السابق جـ 1 ص 26 .

(5) اختلف المؤرخون في نسب « أبي قرة » فبعضهم ينسبونه إلى بني يفرن ، والبعض الآخر إلى قبيلة « مغيلة » ، ويبدو أن الرأي الأخير هو الأصح استنادا إلى قول ابن خلدون : « وقدموا على أنفسهم ـ أي بربر تلمسان ـ من بني يفرن ويقال ، أنه (أي أبو قرة) من مغيلة وهو الأصح في شأنه » لأن هاتين القبيلتين متجاورتان ومن الصعوبة بمكان ، التميز بينهما . أنظر : كتاب العبر ، جـ 6 ص 225 جـ 7 ص 24 ـ المقري : نفح الطيب جـ 1 ص 312 ـ السلاوي : الاستقصا ص 57 .

(6) المقري : نفح الطيب جـ 1 ص 312 .

افريقية آنذاك ، عبد الرحمن بن حبيب الفهري (127 ـ 138 هـ / 744 ـ 755م) ، الى بيتها للبحث عنه (1) .

والظاهر أن أبا قرة المغيلي . قد استطاب العيش في الأندلس ، فاستقر بها مدة بجوار الأمير عبد الرحمن الداخل ، بعيدا عن الحروب الضارية في المغرب ، ففي هذه الفترة سكتت النصوص التاريخية ، عن ذكر اسمه ، مايقرب من عشر سنوات . غاب أثناءها عن مسرح الأحداث المغربية . ولم يظهر الا في سنة 148 هـ / 765 م (2) . حيث قامت بمبايعته بربر تلمسان (بني يفرن ومغيلة) ، زعيما لها من جديد ، وجاءت هذه المبايعة بعد سنة واحدة فقط ، من فشل ثورة العلاء بن مغيث في الأندلس . وهذا يجعلني لا أشك في أن عودة هذا الزعيم الجزائري الى المغرب ، ربما تكون باتفاق تَمَّ بينه وبين عبد الرحمن بن معاوية ، أو قد تكون بتحريض هذا الأخير ومساعدته ، حتى يكون سندا له ، ضد ولاة العباسيين في افريقية .

وقد استهل أبو قرة المغيلي عمله ، بعد عودته من الأندلس بمناوشة الوالي العباسي الأغلب بن سالم التميمي (148 ـ 151 هـ /765 ـ 768 م) (3) ، ثم شن حربا ضروسا على والي القيروان عمر بن حفص (151 ـ 154 هـ / 765 ـ 770 م) المعروف « بهزار مرد » ، وقد اشتد أوار الحرب بينهما عندما استطاع أبوقرة أن يجمع المغاربة بمختلف فرقهم ونحلهم في خلف ضم إثني عشر عسكرا (4) ، يقدر مجموع عددهم بنحو سبعين ألف مقاتل ، تقدم أبو قرة بأكثر من نصف هذا العدد ، نحو مدينة «طبنة» ، قاعدة الزاب سنة 154 هـ / 770 م ، لمقاتلة عمر بن حفص ، الذي جاء لتحصين هذه المدينة (5) ، ثم تقدمت المجموعة الأخرى ، وضربوا عليها حصارا محكما ، لكن دهاء الوالي العباسي ، وأقدامه حال

---

(1) يروي المقري قصة طريفة عن مزح الأمير عبد الرحمن ، مع تكفات أثناء استقبالها في قرطبة ، إذ قال لها : « لقد عذبني بريح ابطك ياتكفات على ما كان بي من خوف ، وسطعتني بأنتن من ريح الخيف فكان جوابها له مسرعة ، بل كان ذلك والله يا سيدي ، منك خرج ولم تشعر به ، من قرط فزعك فاستظرف جوابها » . أنظر : المقري : المصدر السابق ، جـ 1 ص 313 .

(2) ويذكر صاحب مفاخر البربر (ص 48 ـ 49) أن أبا قرة ثار بتلمسان ، سنة 129 هـ / 746 م ، وبقي نحو أربعين سنة يسلم عليه بالخلافة .

(3) ابن عذارى : البيان المغرب جـ 1 ص 74 ـ ابن خلدون : كتاب العبر ، جـ 7 ص 24

(4) ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ 1 ص 75 ـ السلاوي الاستقصا ، جـ1 ص 58 .

(5) السلاوي : الاستقصا جـ 1 ص 58 .

دون تنفيذ خطة البربر ضده ، فقد استطاع أن يحدث تصدعا ، في هذا الحلف باغراء أحد قواد المعسكر البربري ، بمبلغ من المال فانسحب من الحلف بجنده (1) ، ثم تبعته جموع أخرى ، عند ذلك لم يجد أبو قرة بدا ، من الانسحاب والعودة الى بلده تلمسان ، بدون قتال . ولم يصمد عبد الرحمن بن رستم هو الآخر ، أمام طلائع عمر بن حفص ، التي سيرها اليه فانهزم وعاد الى تاهرت (2).

أما أبو حاتم بن لبيب المغيلي ، زعيم اباضية طرابلس ، فلم يتوان هو الآخر ، عن المشاركة في هذه الانتفاضة البربرية ضد الوالي عمر بن حفص ، فتقدم نحو القيروان وحاصرها ، مدة زادت عن ثمانية أشهر ، حتى نفذ زاد أهل المدينة ومؤونتهم فأكلوا سنانيرهم ودوابهم وكلابهم (3) ، ودخلها أخيرا بعد أن حرقها ، وحطم أبوابها ، وثلم أسوارها ، وقتل واليها عمر بن حفص سنة 154 هـ /770 م (4).

وكان الخليفة أبو جعفر المنصور ، قد بعث يزيد بن حاتم الى افريقية ، لنجدة عمر بن حفص ومساعدته ، ولما وصل الى نواحي « سرت » تقابل مع أبي حاتم ودارت بينهما حرب طاحنة ، قتل خلالها الزعيم الاباضي وعدد كبير من جنده (5) ، وعادت بذلك افريقية من جديد ، الى الخلافة العباسية سنة 155 هـ / 771 م (6).

ولم يُقدَّر لهذه الجهود المغربية الأموية أن تنجح ، في القضاء على النفوذ العباسي في المغرب ، بسبب كثرة الخلافات والنزاعات التي طالما نشبت بين القبائل المغربية ، تؤججها النزعة القبلية ، ولم يقدر أيضا لهذا الحلف أن يطول أمده ،

---

(1) الرقيق القيرواني : تاريخ افريقية والمغرب ص 143 ـ ابن خلدون : العبر ، ج 7 ص 25 ، السلاوي : الاستقصاء ج 1 ص 58 ـ اجمع هؤلاء المؤرخون أن عمر بن حفص ، أرسل الى أبي قرة ، مبلغا من المال عن طريق ابنه أبي نور علي ، يقدر بأربعين ألف درهم ، وكسوة مقابل فك الحصار عنه ، لكن أبا قرة لم يكترث الى طلبه ، ولم يجبه ، فقدم عمر بن حفص الى ابن أبي قرة مبلغ أربعة آلاف درهم ، فأجابه وأرتحل في ليلته ، فتبعته العساكر الأخرى فاضطر أبو قرة ، الى الانسحاب ، أما ابن عذاري ، فيذكر أن أخاه هو الذي قبل المبلغ بدلا من ابنه أنظر : البيان ، ج 1 ص 76 .

(2) الرقيق القيرواني : المصدر السابق ، ص 143 ـ ابن خلدون : المصدر السابق ، ج 6 ص 226 .

(3) نفس المصدر ص 143 ـ 144 ـ ابن عذاري : البيان ، ج 1 ص 76 .

(4) الرقيق القيرواني : المصدر السابق ، ص 147 ـ ابن عذاري : المصدر السابق ، ج 1 ص 77 .

(5) الرقيق القيرواني : المصدر السابق ، ص 148 .

(6) ابن عذاري : المصدر السابق ، ج 1 ص 78 ـ السلاوي : الاستقصاء ، ج 1 ص 63 .

وكانت نهايته الفشل الذريع ، رغم مابذله البربر من ضروب الشجاعة النادرة والبطولة الفذة ، وكادوا أن يزيلوا الوجود العباسي ، عن أرض المغرب وافريقية . لولا صلابة يزيد بن حاتم وشجاعته ، وخبرته الطويلة في مجابهة ظروف وأحداث مثل هذه ، فقد أحسن أبو جعفر المنصور الاختيار ، بتعيين يزيد بن حاتم ، فوضع بذلك ، الرجل المناسب في المكان المناسب .

ويعد أحد المؤرخين هذه الثورة البربرية ، بأنها زبدة الثورات التي مخضتها الخوارج في المغرب ، منذ ثورة ميسرة المطغري سنة 122 هـ / 739 م (1) .

وكيفما كان الحال فان ما قام به أبو قرة المغيلي ، وغيره من بربر المغرب من ثورات ضد الولاة العباسيين في افريقية ، شغلت هؤلاء الولاة ، وخليفة بغداد عن التطلع الى الأندلس ، مدة تزيدعن اثنتى عشرة سنة ، أي من سنة 147 هـ / 764 م ، الى سنة 161 هـ / 777 م .

المحاولة الثانية :

تولى الخلافة محمد المهدي بعد وفاة أبيه ، ابي جعفر المنصور سنة 158 هـ / 775 م ، وكان يرغب رغبة أبيه في توحيد العالم الاسلامي تحت الراية السوداء ، ولم يتردد في مجاراة السياسة التي رسمها والده من قبل ، وهي معاداة الأمويين في الأندلس ، لكنه على أي حال ، لم يكن بوسعه تجريد الجيوش الى العدوة الأندلسية ، لبعد الشقة بينهما وصعوبة الطريق . لذلك أقدم على حياكة ديباجية مؤامرة دولية خطيرة ، لم يتجرأ أسلافه القيام بمثلها . وكان الهدف منها ، تقويض عرش بني أمية من الأندلس .

عقد محمد المهدي (158 هـ ـ 169 / 775 ـ 786 م) ، تحالفا سريا ، مع ملك الفرنجة شارلمان Charlemagne (151 ـ 199 / 768 ـ 814 م) ، أو « قارلة » كما تسميه النصوص التاريخية العربية عن الأصل اللاتيني Carlos Magnos لغزو الأندلس (2) .

وقد أبدى شرلمان استعداده ، وتحمسه لهذه المؤامرة ، ورأى فيها الطعمة الدسمة التي يمكن بواسطتها ، تحقيق ما كان يحلم به ، وهو توسيع رقعة دولته حتى أرض

---

(1) السلاوي : المصدر السابق ج 1 ص 63 .

(2) ورد خطأ في كتاب أخبار مجموعة ص 111 أن هذا الحلف تم بين أبي جعفر المنصور وشرلمان العظيم .

جليقية ، وغيرها من الأراضي الاسبانية المجاورة لحدود مملكته ، والتي يرقد عليها جثمان القديس يعقوب ، أحد الحواريين الذي يدعى عند الانجليز « جيمس » وعند الأسبان سانتياجودي كومبوستيلا ـ Santiago de Compo Stela وعند العرب « شنت ياقب » ، ويزعم المسيحيون أنه مدفون في « غالسيا » أو « جليقية » ، في شمال غرب اسبانيا ، وقد أقاموا فوق ضريحه كنيسة عظيمة يحج اليها المسيحيون من جميع أنحاء العالم ، ولا تزال مدينة Santiago de Compostela من أشهر المدن الاسبانية الدينية حتى اليوم . وكان الأوروبيون في العصور الوسطى ينظرون إلى سانتياجو على أنه القديس الذي يحجون اليه . Santiago El Peregrino أما الأسبان فينظرون اليه على أنه سانتياجو المحارب . Santiago El Belico قاتل المسلمين Matamoros (1) .

وكان «شرلمان» يريد أيضا ابعاد الخطر الأموي ، الذي يهدد حدود دولته من الجنوب ، كما صادفت هذه الفكرة هوى في نفسه ، اذ كان يرغب الاستعانة بالدولة العباسية ، لاضعاف منافسيه على زعامة العالم المسيحي (2) ، وهم أباطرة بيزنطة ، وكان الوقت مناسبا بالنسبة «لشرلمان» ، لأنه انتهى من مد سلطانه على « السكسون واللمبرديين » ، وغيرهم من الشعوب الجرمانية (3) .

تم الاتفاق مع اثنين من الزعماء المحليين في المغرب والأندلس ، وهما : عبد الرحمن بن حبيب المشهور بالصقلي ، والمعروف بمغامراته الكثيرة في افريقية (4)

---

(1) د . أحمد مختار العبادي : صور لحياة الحرب والجهاد في المغرب والأندلس ، ص 92 مجلة البينة السنة الأولى عدد (9) الرباط 1963 ويحكي أن شرلمان رأى في منامه القديس جيمس ، الذي أخبره « أن جثمانه الذي لا يعرفه المسيحيون والمسلمون ، يرقد في تلك البلاد النائية ، وأمر شرلمان بأن ينهض ويخلص جليقية من يد المسلمين ، وتكررت ظهور هذه الرؤيا ثلاث مرات حسب ما تذكره الأسطورة . راجع د . عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ص 201 حاشية رقم (3) راجع أيضا : دوروش لودر : أسبانيا شعبها وأرضها ص 60 ، 61 ، 62 . ترجمة طارق فودة . مراجعة وتقديم د . عز الدين فريد ـ القاهرة 1965 م .

(2) محمد محمد مرسي الشيخ : شرلمان باعث النهضة الأوروبية ومجدد عهد الأمبراطورية في الغرب ، ص 11 مقال منشور سنة 1975 م .

(3) L. Provençal : Histoire, T. I., p. 120.

(4) راجع الدرجيني : المصدر السابق ، ج 1 ص 35 .

والثاني أمير برشلونه اليمني ، سليمان بن يقظان الكلبي الأعرابي ، الحاقد على أمير قرطبة عبد الرحمن الداخل (1) . وكان مصير هذه المحاولة العباسية مصير سابقتها ، اذ منيت بالفشل الذريع نظرا ، لافتقارها الى التنسيق بين الأطراف المتآمرة من جهة ، و بعد المسافة وصعوبة المواصلات من جهة ثانية .

عبر عبد الرحمن الصقلبي البحر من افريقية ، ونزل بمن أتى معه من المغاربة على شاطيء تدمير (مرسية) سنة 161 هـ / 777 م (2) . وكتب الى سليمان بن يقظان ، «بسرقسطة» يعلمه بقدومه ويدعوه الى التعجل بالنهوض معه ، لكن سليمان هذا تعلل بعدم استطاعته ابراح المكان ، لأنه أنيط به أمر مساعدة الملك « شارلمان » . ريثما يصل الأندلس . وفي خلال ذلك الوقت كان الأمير عبد الرحمن الداخل ، يقف له بالمرصاد ، اذ أحرق سفن الصقلبي الراسية بساحل تدمير ، حتى يمنعه من الهروب ، ثم تقدم نحوه ، فهرب الصقلبي أمامه وصعد جبلا وعرا بناحية « بلنسية » ، وتحصن به مع من بقي معه (3) .

لقي الصقلبي مصرعه غيلة في هذا المكان ، على يد أحد ثقاته من بربر تلك المنطقة يدعى «مشكار البربري البرنسي» (4) ، الذي لم يتورع عن قطع رأسه ، وحمله الى الأمير عبد الرحمن ، نظير مقدار من المال ، قدره ألف دينار . وكان ذلك

---

(1) أخبار مجموعة ص . 11 ، ابن الأثير : الكامل ، ج 5 ص 60 ، النويري : نهاية الأرب ، ج 22 ورقة (7) وبرشلونة عاصمة اقليم كاطالونية ، أسسها الفنيقيون وفتحها المسلمون ، سنة 95 هـ / 713 م . راجع : محمد الفاسي ، الاعلام الجغرافية الأندلسية ص 22 / 33 مجلة البينة العدد الثالث محرم 1312 / يوليه 1962 م .

(2) العذري : ترسيع الأخبار ، ص 11 و« تدمير» هو الاسم القديم لمرسية Marcia . وقد أختط مدينة مرسية جابر ابن مالك بن لبيد ، عامل تدمير سنة216 هـ / 831 م في أيام عبد الرحمن الأوسط ، ولم يلبث أن أصبحت مرسية عاصمة لكورة تدمير ، ثم سميت الكورة باسمها : راجع ، العذري : المصدر السابق ص 1 ، الحميري : روض العطار ، ص 181 ، د . أحمد مختار العبادي : في تاريخ المغرب والأندلس ، ص 75 .

(3) أخبار مجموعة ص . 11 ، العذري : المصدر السابق ، ص 11 ابن الأثير : الكامل ، ج 5 ص 60 ، ابن عذاري : المصدر السابق ، ج 2 ص 56 ، النويري نهاية الأرب ، ج 22 ورقة (7) .

(4) أخبارمجموعة ص 111 ، العذري : المصدر السابق ، ج 11 ، ابن الأثير : المصدر السابق ، ج 5 ص 60 ، ابن عذاري : المصدر السابق ، ج 5 ص 56 ، النويري : المصدر السابق ، ج 22 ورقة (7) .

سنة 162 هـ / 778 م (1) . ولم يلبث الأسير الأموي بعد هذا الانتصار السهل ، أن وجه حملة الى كل من سليمان بن يقظان ، والحسن بن يحي الأنصاري « بسرقسطة » ، قاعدة الثغر الأعلى ، بقيادة ثعلبة بن عبيد الجذامي ، ولكن هذه الحملة انهزمت وأسر قائدها « ثعلبة » ، فبعث به ابن يقظان الى ملك الفرنجة « شرلمان » (2) ، الذي لم يتأخر عن المسير نحو الأندلس عبر جبال « البرتات » (3) . ولما دخل الأندلس واقترب من مدينة « سرقسطة » ، وجد أبوابها موصدة في وجهه ، والظاهر أن انقلابا وقع في داخل المدينة ، مضادا لهذا التحالف ، تزعمه الحسين بن يحي الأنصاري ، وبتعضيد من حامية المدينة التي أبت في شمم ، تسليم مدينتها الى الفرنجة المسيحيين ، أو ربما يكون الحسين هذا قد اضطر الى نقض الاتفاق مع ابن يقظان ، تحت ضغوط أعيان المدينة وشيوخها ، أوأنه وجدها فرصة مناسبة لتحقيق أغراضه الشخصية ، وهو الانفراد بحكم الثغر الأعلى .

وكيفما كان الحال فقد حاول شرلمان عبثا ، دخول المدينة بالقوة ، فلم يستطع ، اذ كانت مقاومة سكانها شديدة .

وبينما كان محاصرا لها ، اذ وردته أنباء ـ من عاصمته « اكس لاشابال » Aix Lachapelle (مدينة آخن الألمانية الحالية) عن ثورة القبائل الجرمانية وخروجها عليه ، ونقض طاعته ، منتهزة في ذلك فرصة غيابه وبعده عن المملكة . ولم تقف عند هذا الحد بل ارتدت أيضا عن الديانة المسيحية ، التي أرغمها شرلمان على الدخول فيها (4) ، فاسرع يطوي المراحل للعودة الى بلده سنة 162 هـ /

---

(1) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ 5 ص 60 ، النويري : المصدر السابق ، جـ 22 ورقة (7) .

(2) أخبار مجموعة ، ص 113 ، العذري : المصدر السابق ، ص 25 . L. Provençal : Histoire, T. I., p. 223.

(3) تفصل الجبال المسماة بالبرتات : (البرانس) Pyrénées بلاد الفرنجة عن اسبانيا ، ولازالت تحفل هذه الجبال ، بعدد من الممرات أو الأبواب ، أطلق على كل منها اسم « برت » أشتقاقا من الأصل اللاتيني Pertus ثم عمموا تلك التسمية على جبال البرانس نفسها ، وصارت تعرف باسم جبال «البرتات» ، وقد أشتهر من بين هذه الأبواب «بورت شيزر» أوكما تسميه العرب «باب الشزري» أنظر ، د . إبراهيم العدوي ، بلاد الجزائر ، ص 218 ، 219 ، محمد الفاسي : الاعلام الجغرافية الأندلسية ، ص 22 .

(4) دوزي : تاريخ مسلمي اسبانيا ، جـ 1 ص 231 ـ محمد محمد مربي الشيخ : شارلمان باعث النهضة ص 8 .

778 م ، بعد أن أخذ معه سليمان بن يقظان أسيرا ، لتسببه في فشل الحملة (1) .

وكان شرلمان قد سلك طريق الممرات الوعرة في جبال البرتات ، وبينما هو يعبر ممر شيزر أو رنسفالة Roncevelles (2) ، تقاطرت عليه قبائل البشكنس (الباسك) سكان تلك المنطقة ، من كل حدب وصوب ، ووجهوا الى مؤخرة جيشه ضربة قاصمة أتت على معظم عسكره (3) ، وصفوة من قواده أمثال اجيهارد Eggihard ، وانسليم Anselime ورولند Roland (والى اقليم بريتاني) (4) ، صاحب الأسطورة الشعبية الفرنسية ، والملحمة الشعرية التي تعرف بأنشودة رولاند Chanson de Roland ، والتي تشيد ببطولة هذا القائد ، واخلاصه لسيده ، ويقال انها بداية الأدب الشعبي الفرنسي (5) .

ويبدو أنه كان لعبد الرحمن ضلع في هزيمة هذا الجيش الأفرنجي اذ تشير بعض المصادر الى أن الأمير عبد الرحمن ، قد خرج الى اقليم بنبلونه في ذلك الوقت (6) وربما يكون قد عمل على تحريض أبناء سليمان بن يقظان الأسير ، بالاشتراك في الهجوم على شرلمان ، وزودهم بالمال والسلاح ، فلم يتأخر هؤلاء الأبناء عن ذلك ، وتمكنوا من اطلاق سراح أبيهم ، غير أنه لم يلبث أن لقي حتفه بعد ذلك ، على يد الحسين بن يحي الأنصاري حاكم سرقسطة ، ولاشك في أن قتله كان بايعاز من أمير قرطبة (7) .

وهكذا انتهت هذه المؤامرة بالفشل الذريع ، وخرج منها ابن معاوية منتصرا ، بينما عاد منها شرلمان ملك الفرنجة ، جاراً وراءه ذيول الخيبة والأسى ، عما لحقه من

---

(1) دوزي : المرجع السابق ، ج 1 ص 231 ـ د . أحمدمختار العبادي : في تاريخ المغرب والأندلس ، ص 108 .

(2) د . السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، ص 203 ـ د . أحمد مختار العبادي : المرجع السابق ، ص 108 .

(3) دوزي : تاريخ مسلمي اسبانيا ، ج 1 ص 231 ، د . أحمد مختار العبادي في تاريخ المغرب والأندلس ، ص 108 .

(4) دوزي : المرجع السابق ، ج 1 ص 231 .

(5) عبد الحميد العبادي : المجمل في تاريخ الأندلس ، ص 83 ـ د . أحمد مختار العبادي : المرجع السابق ، ص 109 .

(6) اخبار مجموعة ص 114 ـ د . عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص 203 .

(7) العذري : ترصيع الأخبار ص 26 .

هزيمة نكراء ، لقنته درسا قاسيا ، لم يقم بعدها بأية مغامرة أخرى ضد عبد الرحمن الداخل (1) .

أما بنو العباس رغم فشلهم للمرة الثانية ، فان فكرة اعادة الأندلس للخلافة العباسية ظلت شغلهم الشاغل . حتى أ نالمعتصم الذي تولى الخلافة في مطلع القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي (218 ـ 227 هـ / 833 ـ 842 م) ، ظلت تراوده هذه الفكرة ، فعزم على ارسال جيش كبير الى الأندلس . وقد أشار الى ذلك السيوطي نقلا عن الصولي ، عن أحمد بن الخطيب حيث قال : قال المعتصم : « ان بني أمية ملكوا ، وما لأحد منا ملك ، وملكنا نحن ، ولهم بالأندلس هذا الأموي ، فقدر ما يحتاج إليه لمحاربته وشرع في ذلك ، فأشتدت عليه علته ومات» (2) .

وكان عبد الرحمن ، قد عزم هو الآخر على الانتقام من العباسيين ، ويذهب النويري الى أنه جهز جيشا ، لإرساله الى بلاد الشام ، غير أن ثورة الحسين بن يحي الأنصاري ، بمدينة سرقسطة سنة 163 هـ / 779 م (3) ، أضطرته الى تحويل هذا الجيش نحوه ، وتمكن عبد الرحمن أخيرا ، من قتل الحسين بن يحي واعادة سلطانه على هذه المدينة سنة 166 هـ / 782 م (4) .

ولاشك أن رواية كل من السيوطي والنويري ـ أن صحت ـ لاتعبر الا عن انفعالات شخصين وقتية بعيدة كل البعد ، عن الحقيقة الواقعة وهي استحالة كل من الجانبين غزو الآخر لبعد المسافة بينهما .

ويبدو أن عبد الرحمن الداخل بعد هذا الانتصار السهل ، على اعدائه ، والذي لم يكلفه عناء كبيرا ، استعادت له هيبته في الداخل والخارج ، عند ذلك أقدم الأمير الأموي على فتح صفحة جديدة في سياسته الخارجية ، وبصورة خاصة

---

(1) د . أحمد ابراهيم الشعراوي : الأمويون أمراء الأندلس الأول ، ص 105 دار النهضة العربية القاهرة 1969 م .

(2) السيوطي (عبد الرحمن بن أبي بكر) تاريخ الخلفاء أمراء المؤمنين القائمين بأمر الأمة ، ص 336 / 337 تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، القاهرة 1371 هـ / 1952 م .

(3) النويري : نهاية الأرب ، ج 22 ص 7 .

(4) أخبار مجموعة ص 115 .

مع الدولة الكارولنجية ، حيث دعا الملك شرلمان الى السلم والمصاهرة ، حتى يتفادى شرهم ـ فأجابه هذا الأخير ، الى السلم ولم تتم الصاهرة بينهما (1) .

وتعهد خلالها ملك الفرنجة ، أن لا يعيد الكرة مرة أخرى لغزو الأندلس ، وبالفعل فقد التزم شرلمان بهذه المعاهدة فترة من الزمن ، أي منذ فشله سنة 162 هـ / 778 م ، الى سنة 185 هـ / 801 م ، حيث غزا الفرنجة مدينة برشلونة ، وأستولوا عليها في عهد الأمير الثالث الحكم بن هشام (180 هـ ـ 206 / 1796 ـ 821 م) (2) . ومنذ ذلك الوقت صارت برشلونة ثغرا اسبانيا Marca Hispanica للدولة الكارولنجية (3) .

أما الدولة العباسية ، فقد أدركت هي الأخرى عدم الجدوى في استعمال الحملات العسكرية لاعادة الأندلس الى أملاكها ، فاقتصرت على مناوشة خصومهم الأمويين ، معتمدة في ذلك على أسلوب المناورات السياسية والدبلوماسية (4) . التي وضع أسسها الخليفة أبو جعفر المنصور ، وهو التحالف مع الفرنجة ضد بني أمية في الأندلس ، وقد ردت الأندلس ، على ذلك في عهد الأمير عبد الرحمن بن الحكم ، بالتحالف مع الدولة البزنطية المتاخمة لحدود العباسيين في المشرق .

وهكذا قضى عبد الرحمن بن معاوية ، معظم وقته في مطاردة المناوئين ، والمعارضين والمتآمرين . واستطاع أن يقضي على الثورات التي قامت في عهده ، بفضل جيشه المنظم وقادته الأكفاء المخلصين ، وبفضل اقدامه ، ونشاطه المتواصل ، وكثيرا ما كان يتولى بنفسه قيادة الجيوش ، واستطاع أيضا أن يجمع حوله طوائف أهل الأندلس المختلفة ، من بلديين وشاميين ، وقيسيين ويمنيين ، وبربر ومسالمة ، ويجبرهم على طاعته والرضى بحكمه .

وعلى هذا يمكن القول ، بأن علاقته بالمغرب ظلت معالمها غير واضحة ، كل الوضوح ، ولعلها بقيت محدودة ، وعلى نطاق ضيق جدا ، حيث كانت اتصالاته

---

(1) المقري : نفح الطيب ج 1 ص 310 .

(2) L. Provençal : Histoire, T. I., p. 121 راجع كتاب د . عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمون وآثارهم في الأندلس ، ص 203 .

(3) د . حسين مؤنس : رحلة الأندلس ، ص 23 القاهرة 1963 .

(4) د . أحمد مختار العبادي : في تاريخ المغرب والأندلس ، ص 109 .

مع بعض القبائل المغربية في سبيل تزويد جيشه بابنائها المقاتلين ، أو تحريضها على مقاتلة ولاة العباسين في افريقية والمغرب .

وربما تكون العلاقة قد استمرّت على هذا النحو ، أوحتّى بصورة أقل ، في عهد خلفه هشام وابنه الحكم بن هشام ، ومن سوء الطالع أن النصوص التاريخيّة أحجمت عن ذكرها أو الإشارة اليها ، حتى أصبح الدارس لهذا الموضوع يعتمد أحيانا على الاستنتاج والحدس والتخمين .

كانت العدوة المغربيّة تعد مقرّا رئيسيّا ، وأمينا للاجئين السياسيين ، أو الثّائرين المنفيين اليها من قبل حكومة قرطبة ، وكان الثّائرون يفضلون اللجوء اليها لقربها من بلاد الأندلس ، حتّى يسهل عليهم تتبع أخبارها وأحوالها من جهة ، والإستعانة بالجنود المرتزقة من المغاربة من جهة أخرى ، اذا ما أرادوا القيام بعمل مناوىء ضد العاهل الأندلسي ، وهذا ما حدث عندما تولى الأمير هشام (172 هـ ـ 180 / 691 ـ 796 م) الإمارة ، بعد وفاة أبيه عبد الرّحمن الداخل ، اذ ثار عليه أخواه سليمان وعبد الله (1) ، وطالباه بالعرش لكنه تمكن من اخضاعهما ، ثم اتفق معهما على مغادرة الأندلس ، الى بلاد المغرب ، ومنح سليمان مبلغا كبيرا من المال ، قدره ستون ألف دينار ، مقابل تنازله عن مطالبه ، فاستقرّ سليمان بطنجة (2) ، بينما ظل عبد الله يتنقل بين المغرب وافريقية ، زار خلالها ابراهيم بن الأغلب عامل اقليم الزاب آنذاك . ثم انتهى به المطاف الى بلاط الإمام عبد الوهاب بن عبد الرّحمن بن رستم (171 ـ 211 / 787 ـ 826 م) ، صاحب تاهرت حيث استقرّ عنده مـــدّة (3) .

---

(1) ابن عذاري : البيان جـ 2 ص 62 .

(2) ابن سعيد (أبو الحسن علي) : المغرب في حلي المغرب ، جـ 1 ص 48 تحقيق د . شوقي ضيف ـ دار المعارف بمصر القاهرة 1964 ، ابن الأثير : الكامل ، جـ 5 ص 102 .

(3) ذكر المستشرق ليفي بروفنسال L. Provençal أن عبد الله بن عبد الرحمن قد زار ابراهيم بن الأغلب أمير القيروان ، والظاهر أن ابراهيم كان حينذاك عاملا على مدينة طبنة عاصمة اقليم الزاب ، أما أمير القيروان فلعله هرثمه بن أعين (179 هـ ـ 181 هـ / 795 ـ 797 م) وليس ابن الأغلب ، لأن هذا الأخير تأمّر على القيروان سنة 184 هـ / 800 م كما تذكره معظم المصادر ، بينما عبد الله بن عبد الرحمن عاد الى بلاد الأندلس سنة 180 أو 181 هـ ، ولهذا فاعتقد أن تكون زيارة الأمير الأندلسي عبد الله الى بلاط ابن الأغلب في مدينة طبنة وليس في القيروان راجع : L. Provençal : Histoire, T. I., p. 152.
وعن تولية ابراهيم بن الأغلب للقيروان وعبور عبد الله بن عبد الرحمن الى الأندلس أنظر : ابن عذاري : البيان جـ 1 ص 92 ، جـ 2 ص 70 .

ولما توفي هشام بن عبد الرّحمن سنة 180 هـ / 796 . وتولى ابنه الحكم الإمارة من بعده ، أسرع عبد الله بالعبور الى الأندلس ، في نفس السنة التي اعتلى فيها الأمير الجديد ، علّه يسبق أخاه سليمان ، فنزل بمدينة سرقسطة في كنف الثائر بهلول بن مرزوق ، وحاول ان يستميل سكان هذه المدينة لكنهم لم يكترثوا لندائه (1) ، فرحل بعد ذلك برفقة ولديه عبيد الله وعبد الملك ، صوب الفرنجة (2) ، حيث نزلوا في عاصمة شرلمان مدينة «اكس لاشابال» وقاعدة ملكه وحثوه على غزو الأندلس ثم عادوا سنة 184 هـ / 800 م ، واستولوا على حصن «وشقة» ، الا أن بهلولا أخرجهم منها ، فاتجهوا الى بلنسيّة واستقرّوا بها (3) ، بعهد من الأمير الحكم سنة 186 هـ /802 م ، بعد صلح تم بينهما ، ومنذ ذلك الوقت أصبح عبد الله يعرف «بالبلنسي» نسبة الى مدينة «بلنسية» ـ استقدم الحكم ولديه عبيد الله وعبد الملك ، الى قرطبة وزوّج احدهما من أخت له (4) .

أما سليمان فقد عبر المضيق من طنجة بمن اجتمع له ، من المرتزقة الطنجيين سنة 182 هـ / 798 م ، وشقّ طريقه نحو قرطبة ، ولكنه لم يستطع اقتحامها ، اذ قابلته جنود الأمير ، وهزمته ، وبقي سليمان سنتين حاول أثناءها ، محاولات يائسة للاستيلاء على قرطبة ، فلم يفلح فيها جميعا ، وأخيرا تمكن من أن يتخلص منه الحكم بقتله سنة 184 هـ / 800 م (5) .

وفي خلال هذه الفتنة (فتنه سليمان وعبد الله) اغتنم الفرنجة الفرصة واستولوا على برشلونة سنة 185 هـ / 801 م (6) ، أي بعد سنة واحدة من مغادرة عبد الله عاصمة الفرنجة . ولا شك أن المسؤول الأول عن انسلاخ هذه المقاطعة ، وانكماش الحدود الشماليّة للأندلس ، هي الأسرة الحاكمة في قرطبة ، ولا يبرر تقاعس الأمير الحكم بن هشام ، أنه كان يقوم بإخماد الثورات والفتن الدّاخليّة ، اذ أن

---

(1) ابن عذاري : المصدر السابق ، ج 2 ص 83 .

(2) ابن عذاري : المصدر السابق ، ج 2 ص 69 . L. Provençal : Histoire, T. I., p. 152.

(3) ابن عذاري : البيان ، ج 2 ص 103 .

(4) نفس المصدر ج 2 ص 72 ـ ويذكر ابن الأثير (ج 5 ص 102) أن الحكم زوج أبناء عمه من اخواته وسكنت الفتنة .

(5) ابن عذاري : المصدر السابق ، ج 2 ص 71 .

(6) ابن الأثير الكامل ، ج 5 ص 102 ـ المقري : نفح الطيب ج 1 ص 317 .

أخطر الثورات هي ثورة الربض ، اندلعت بعد سقوط هذا الثغر بسبع عشرة سنة هذا من جهة ، ومن جهة أخرى ، فقد كانت له جيوش قويّة جمع لها الاذناب واستكثر ، من الأجناد والمرتزقة والأسلحة ، واتخذ المماليك ، وكان يسميهم بالخرس لعجميتهم (1) ، وربط بباب قصره ما يربو على ألف فرس ، ولم يستغلها في حماية حدود المسلمين بالأندلس ، وانما وجهها لحماية نفسه وعرشه ، وترك الحدود الشماليّة تعبث بها يد الفرنجة .

على أنه تجدر الاشارة هنا الى أن الأحداث الداخلية التي جرت في الأندلس في عهد هذا الأمير «الحكم بن هشام» كان لها صدى كبير في الأحداث التي مر بها المغرب الأقصى في ذلك الوقت ، حيث كانت دولة الادارسة العلويين ما زالت في طور النشأة ، وفي أمس الحاجة الى تدعيم أركانها ، لهذا رأيت من الضروري أن أقف عند دولة الأدارسة العلويين وقفة قصيرة ، لتوضيح نوع العلاقة التي قامت بين المغرب والأندلس في تلك الآونة .

علاقة الأمويين بالأدارسة العلويين في فاس

فمن المعروف أن مؤسس هذه الدّولة ادريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، كان قد فرّ من الحجاز على اثر معركة « فخ » ، سنة 169 هـ / 785 م ، واستقرّ بالمغرب الأقصى عند اسحاق بن محمّد بن عبد الحميد الأوربي المعتزلي ، زعيم قبيلة «أورية» مدّة ستة أشهر ، ثم بايعته هذه القبيلة سنة 172 هـ / 788 م (2) وتبعتها بعض القبائل الأخرى مثل : صنهاجة وهوارة وزناتة وغيرهم (3) ، وكان قد اتخذ من مدينة وليلي Volubulis قرب مكناس مقرّا له ، وجمع جيشا من هؤلاء القبائل ، وخرج به غازيا الى بلاد «تامسنا» ، و «شالة» وبلاد «فازاز» ، وغيرها كما توجه الى تلمسان بالمغرب .

---

(1) ابن الأثير : الكامل ، ج 5 ص 103 ، المقري : نفح الطيب ، ج 1 ص 230 .

(2) ابن أبي زرع (أبو العباس أحمد) : الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، ص 7 طبعة فاس الحجرية سنة 1885 م ، الجزنائي (أبو الحسن علي) : زهرة الآس في بناء مدينة فاس ، ص 9 نشره الفريد بيل ، الجزائر 1922 م ، ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، القسم الثالث ص 191 ، السلاوي : الاستقصا ، ج 1 ص 68 .

(3) ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص 7 ، السلاوي : المصدر السابق ج 1 ص 68 .

ودخلها صلحا سنة 173 هـ / 789 م (1) ، وانضوت تحت نفوذه كل من قبيلتي بني يفرن ومغراوة سكان تلك المنطقة .

وكان ادريس الأول ينوي مد سلطانه على العالم الإسلامي ، بشطريه المغربي والمشرقي وتوحيده ، وظلت هي أمنيته وأمنية خلفه من بعده (2) لكن المنيّة حالت دون تحقيق ذلك الحلم ، اذ بعث له الخليفة هارون الرّشيد (170 هـ ـ 193 م / 786 ـ 809 م) . من دس له سما فمات سنة 175 هـ / 791 م خوفا من أن يستفحل أمره ، ويستولي على المغرب وافريقية (3) .

أخذ أبو خالد بن يزيد البيعةلادريس الثاني ، من القبائل البربريّة بعد مقتل راشد سنة 792/186 م (4) . أي بعد احدى عشرة سنة من ولادته ووفاة أبيه . وخاض حروبا كثيرة مع بربر المغرب الأقصى ، واستطاع أن يمد نفوذه وسلطانه الى بلاد المصامدة ، وأن يستولي على نفيس وأغمات ، سنة 197 هـ / 812 م . وأن ينشر الإسلام بين سكان هذه المناطق ، الذين كانوا يدينون بديانات مختلفة مثل : النصرانيّة واليهوديّة (5) .

---

(1) ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، القسم الثالث ص 1921 ـ السلاوي : الاستقصاء ، ج 1 ص 69 وجاء في روض القرطاس سنة 174 هـ / 780 ص 8 .

(2) روض القرطاس ، ص 8 ـ السلاوي : الاستقصاء ، ج 1 ص 69 ، وكان الأدارسة يرغبون في مدسلطانهم ، على العالم الاسلامي كله وظلت هي أمنيتهم وتشير بعض النصوص ، الى أنهم ، كانوا على اتصال وثيق ، بأهل افريقية ، حتى أن بعض الأغالبة أخذوا يساومون خلفاء بني العباس ، ويهددونهم بالانضمام الى الأدارسة العلويين ، ان هم أرادوا خدش استقلالهم . كما تشير بعض الوثائق ، الا أنه كانت هناك صلة بين الأدارسة وبين سكان مصر ، أنظر : كتاب ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، القسم الثالث ص 17 ، 18 والحاشية رقم (2) من نفس الصفحة .

(3) البكري : المغرب ص 121 ـ الاستبصار ، ص 196 ـ ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، القسم الثالث ص 194 : وجاء في رواية أخرى ، أن وفاته كانت سنة 177 هـ / 793 م راجع كتاب : روض القرطاس ص 13 ـ السلاوي المصدر السابق ، 70 وقد أختلفت المصادر ، في سبب وفاته ، أنظر المراجع الآنفة الذكر .

(4) البكري : المصدر السابق ، ص 122 ـ ويذكر ابن خلدون أن البربر بايعوا المولي ادريس الثاني حملا ثم رضيعا ، ثم فيصلا ، الى أنشب ، بايعوه بجامع وليلي سنة 188 هـ / 794 م وهو ابن أحد عشرة سنة أنظر السلاوي : الاستقصاء ، ج 1 ص 70 .

(5) ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، القسم الثالث ص 191 ـ الجزنائي : المصدر السابق ، ص 9 وانظر الترجمة الفرنسية ص 31 ، السلاوي : الاستقصاء ، ج 1 ص 68 .

وفي نهاية القرن الثاني الهجري ، التاسع الميلادي ، خرج ادريس الثاني الى تلمسان وأخضع بنى يفرن ومغراوة وقام بتحريضهم ضد «بني رستم» أصحاب « تاهرت » . لكن الرستميين تصدوا لهم وأبو بشمم ادماج دولتهم مع الأدارسة (1) .

وكان الغرض من اقامة ادريس الثاني بهذه المدينة ، لمدة ثلاث سنوات تأمين حدود دولته الشرقيّة ازاء خطر الخوارج الأباضية بالمغرب الأوسط . وكانت قبائل « نفزة » ، التي هزمها من أقوى عصبيات امامة تاهرت (2)

وانتظمت لادريس الثاني ، بعد ذلك طاعة البربر في المغربين الأوسط والأقصى ، من السوس الأقصى جنوبا الى وادي شلف (3) . وقد أقلق ابن الأغلب أمير القيروان (184 ـ 196 / 800 ـ 811 م) هذا الإنتشار العلوي السّريع ، واستفحال امر ادريس بن ادريس ، فدخل معه في صراع سلبي ، اذ ناوشه في عقر داره ، وقد استطاع بمكائده ودسائسه ، أن يؤلب على المولى ادريس الثّاني الأولياء والأقربين ، فأغرى من قتل مولاه راشدا ، ولم يزل كذلك يغرى بهلولا ابن عبد الواحد ، أحد القائمين بأمر المولى ادريس الثاني حتى فارقه ، ودخل في طاعة الأغالبة (4) ، حتى أصبح ادريس الثاني يرتاب من البربر ، فقتل اسحاق بن محمد بن عبد الحميد الأوربي ، زعيم أورية سنة 192 هـ / 857 م ، للغرض ذاته (5) .

وتروي بعض المصادر أن ادريس الثاني لم يطق استفزازات ابن الأغلب ومؤامراته ، فأرسل اليه يستعطفه ويسأله الكف عنه (6) ، ويذكره بقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فكف عنه أمير القيروان . ومنذ ذلك الوقت ، لم يقم بينهما أي عمل ، من شأنه أن يؤدي الى زيادة التوتر بين الدولتين (7) .

---

(1) ابن خلدون : كتاب العبر ج 7 ص 52 ـ ابن تاويت : دولة الرستميين ص 17 .

(2) د . سعد زغلول عبد الحميد : تاريخ المغرب العربي ص 442 .

(3) السلاوي : الاستقصاء ، ص 75 .

(4) ابن الأثير : الكامل ج 5 ص 104 ـ النويري : نهاية الأرب ، ج 22 ورقة 106 .

(5) د . السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ج 2 ص 476 .

(6) ابن الأثير : الكامل ، ج 5 ص 104 ـ ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، القسم الثالث ص 14 ـ 15 .

(7) النويري : نهاية الأرب ، ج 22 ورقة 106 .

أما فيما يخص العلاقة بين قرطبة وفاس ، فيبدو أن الحكم بن هشام أمير قرطبة ، أراد أن يستغل فرصة عداء الأدارسة للدولة العباسيّة وأمراء القيروان ، لأن كلا من الأمويين في الأندلس ، والأدارسة العلويين في المغرب الأقصى ، يشتركون في عداء بني العباس ، فرغب الحكم بن هشام في مواصلة المولى ادريس الثاني ، وبعث له بسفارة تهنئة باعتلائه العرش (1) ، وفاتحه في موضوع مهم ، وهو أن يكونوا يدا واحدة ضد خصومهم الأغالبة ، الذين بدأت المعارك تحتدم بينهم وبين الأدارسة ، حتى يتمكنا من افراغ حصيلتهم الهائلة من الكراهيّة تجاه هؤلاء الأغالبة ، الذين باتوا يهددون أمنهم بتحريض من خلفاء بغداد .

وعلى الرّغم مما تميزت به هذه العلاقة ، في البداية من الود والصداقة ، بين العاهلين الأندلسي والعلوي ، والتي جرى توثيقها بواسطة سفارة الحكم الى « فاس » فإن أمد هذه الصداقة كان قصيرا ، فسرعان ما تلاشت وانقلبت الى كراهيّة ، بسبب استقبال المولى ادريس الثاني ، لعدد من الفرسان الأندلسيين الفارين من الأندلس الى المغرب ، سنة 189 هـ / 804 م . وكان هؤلاء الفرسان الساخطون على الأمير الحكم بن هشام ، يمثلون النخبة الأرستقراطية العربيّة في قرطبة (2) .

وكان مجيئهم الى المغرب يعد مكسبا لادريس الثاني ، لأنّه ظل يشعر بالوحدة والعزلة منذ ولادته في وسط القبائل البربريّة ، لذا نجده لم يتأخّر في احتضان هؤلاء العرب ، وتقريبهم اليه ، سواء منهم القادمون من قرطبة ، أو القيروان ، وعهد اليهم بالوظائف العالية ، وجعلهم بطانته الخاصة دون البربر (3) .

---

(1) ابن تاويت النطواني : دولة الرستميين أصحاب تاهرت ص 16 ، فصلة من صحيفة معهد الدراسات الاسلامية بمدريد 1957 م مجلد (5) العدد 1 ـ 2 . أنظر كتاب :

Scott : History of the Moorsh Empire in Europe, vol. I., p. 456.

(2) روض القرطاس ص 14 ـ ليفي بروفنسال : الاسلام في المغرب والأندلس ص 36 ، 3 تعريب د . عبد العزيز سالم ، محمد صالح الدين القاهرة بدون تاريخ .

(3) ليفي بروفنسال : المرجع السابق ص 37 .

وأما الحدث الثاني الهام ، الذي زاد من توتر العلاقات بين الحكم ، والمولى ادريس الثاني ، فهو استقبال هذا الأخير للمنفيين الرّبضيين (1) ، من الأندلس سنة 202 هـ / 818 م ، على اثر فشل الثّورة التي قاموا بها ضد الحكم بن هشام في قرطبة (2) .

استقرّت أول الأمر جالية من هؤلاء الربضيين ، بين القبائل البربريّة في جبال الرّيف (3) القريبة من ساحل البحر المتوسّط ، وكان المولى ادريس الثاني يحتاج الى سكان يعمّرون مدينته «العالية» ، التي بناها سنة 193 هـ / 809 م ، والمدينة التي أنشأها أبوه ادريس الأول ، وهي مدينة فاس» (4) .
لذا فقد رحب ادريس الثّاني ، بقدوم هؤلاء الأندلسيين المنفيين ، وشجعهم على الإقامة في مدينة أبيه ، فاستجابوا له ، وأقاموا بها ، وزادوا في عمارتها ، ببناء مساكن جديدة تحمل الطراز الأندلسي ، وحملوا معهم الى المغرب مظاهر الحضارة الأندلسيّة ، اذ كان أغلبهم من أهل الزّراعة والحرف التقليديّة (5) . فأعطوا بذلك لهذه المدينة مظهرا جديدا ، يغلب عليها الطابع الأندلسي الجميل ، سواء في الصناعات المختلفة ، أو في شكل الأبنية ذات اللون الأبيض الناصع . أو في إنشاء الحدائق المنزلية الناضرة ، حتى فاقت زميلتها مدينة « العالية » . وأصبحت منذ ذلك الحين ، يطلق عليها مدينة « الأندلسيين » نسبة اليهم .

---

(1) « الربض » كلمة عامة تعني الضاحية أو الحي ، والجمع أرباض وعندما ولي هشام بن عبد الرحمن ، أعاد بناء القنطرة الرابطة بين قرطبة وضفة الوادي الكبير الجنوبية ، حيث الأرباض الجنوبية ، ولما تم اعادة بنائها امتد العمران الى ضفة النهر الاخرى (الجنوبية) فنشأ فيها حي آهل بالسكان عرف بالربض ، وقد امتد هذا الربض من ضفة النهر جنوبا حتى بلدة شقندة ، ونظرا لقرب هذا الربض من الجامع وقصر الامارة من السوق أو الطريق الرئيسي للمدينة ، فقد فضل أن يسكنها التجار ، والطلبة ، والفقهاء وأصحاب الحرف الأخرى ، ومعظمهم من المولدين ولايزال هذا المكان يطلق عليه اسم Arrabal الى اليوم . أنظر : د . أحمد مختار العبادي : تاريخ المغرب والأندلس ص 130 .

(2) حول أسباب قيام ثورة الربض راجع كتاب : د . أحمد مختار العبادي : في تاريخ المغرب والأندلس ، ص 130 .

(3) L. Provençal : Histoire, T. I., p. 196

(4) حول بناء مدينة فاس راجع كتاب : L. Provençl : La fondation de Fès - L'Islam d'Occident وقد ترجم هذا الكتاب د . عبد العزيز سالم ومحمد صلاح في مجموعة الالف كتاب تحت عنوان الاسلام في المغرب والأندلس .

(5) L. Provençal : Histoire, T. I., p. 170.

أما مدينة « العالية » ، فقد جعلها ادريس الثاني مقرّا ، للعرب القادمين من القيروان بإفريقية ، وعرفت هي الأخرى بمدينة « القيروانيين » ، وقد اشتغل هؤلاء القيروانيون ، بالتجارة ، بينما اشتغل معظم الأندلسيين بالصناعة والزراعة (1)

وصفوة القول أنه لم يدم التقارب الأموي الادريسي طويلا ، بل تجمدت العلاقة بينهما ، بعد أن استقبل المولى أدريس الثاني ، الثائرين على الدولة الأموية في عاصمته الجديدة ، وشجعهم على سكنها ، وبهذا العمل دخلت العلاقات بين بنى أمية في الأندلس ، والادارسة العلويين في المغرب الأقصى ، مرحلة أخرى أكثر برودة وتوترا ، فقد أصبح الأمير الحكم عاهل الأندلس ، يخشى امتداد نفوذ الادارسة الى بلاده ، ولهذا يقال إن هذا الخوف دفع به الى مصادقة ، « شرلمان » ملك الفرنجة ، ليكون عونا له وسندا لمنع المزيد من الانتشار العسكري والمذهبي العلوي في المغرب ، ومنعهم أيضا من العبور الى العدوة الاندلسية (2) ، وبهذا عادت الاحقاد العلوية الاموية القديمة ، ويبدو أنها استمرت على هذا النحو مع خلفه ، فالعداء بين البيتين قديم ، وله جذور تمتد الى عهد الخليفة على بن أبي طالب (35 ـ 40 / 655 / 660 م) . ومعاوية بن أبي سفيان ، بل والى أبعد من هذا التاريخ ، تعود أيامه الى عصر الجاهلية ، وظهور الاسلام ، فأبو سفيان بن حرب كان من ألد اعداء الرسول (صلعم) ، ومعاوية بن أبي سفيان اغتصب الخلافة ، من الحسن والحسين ، ويزيد بن معاوية قتل الحسين حفيد الرسول ، في حادث كربلاء سنة 61 هـ/680 م ، هذا الحادث الذي تعتبره الشيعة بمختلف طوائفها وفرقها ، حدثا مشؤوما في تاريخها ،(3) وعليهم ازالة آثاره .

وقد أخذ الأمراء الأمويون في الأندلس ـ بادىء ذى بدء ـ على صبغ الأندلس باللون الأموي ، (4) وتقوية حزبهم بين السكان . وقد سلكوا نفس السياسة ، التي سار عليها أسلافهم من قبل في دمشق ، وهو المحافظة على المذهب السني وتقويته ،

---

(1) د. احمد مختار ابعبادى : في تاريخ المغرب والأندلس ص 133 .

(2) L. Provençal : Histoire, T. I., p. 149

(3) د . محمود على مكى : التشيع في الأندلس منذ الفتح حتى نهاية الدولة الاموية ، ص 26 صحيفة المعهد المصرى للدراسات الاسلامية في مدريد ، فصلة من المجلد الثاني ، العدد 1 ـ 2 سنة 1954 م .

(4) د. محمود على مكى : المرجع السابق ، ص 26 .

دون غيره من المذاهب الأخرى ، وقد ثبت ان الأمويين عارضوا الأحزاب الأخرى بل حاربوها أحيانا . ولا سيما منها الحرب الشيعي ، وخير دليل على ذلك قول المقدسي تناظر الفريقان ـ أصحاب أبي حنيفة ، وأصحاب مالك ـ يوما بين يدى السلطان ـ هشام بن عبد الرحمن ـ فقال لهم : من أين كان أبو حنيفة ؟ قالوا : من الكوفة فقال : ومالك ؟ قالوا من المدينة ، قال : عالم دار الهجرة يكفينا . وأمر باخراج أصحاب ابي حنيفة وقال : لا أحب أن يكون في عملى مذهبان » (1) . ويضيف المقدسي قائلاً : » فان ظهروا على حنفى أوشافعى نفوه ، أما أن عثروا على شيعي ، أونحوه ربما قتلوه » (2). من هذا النص يتضح أن الأمويين لم يسمحوا للمذاهب الأخرى ، أن تنتشر بين سكان الأندلس ، بل ضربوا بيد من حديد كل من دعا لغير مذهب الدولة الرسمى ، ومثال ذلك ما قام به الامير عبد الرحمن الداخل ، مع الثائر « شقيا » بن عبد الواحد المكناسي الفاطمي (3) ، « الذي ثار في منطقة سنتبريه ، Santaver وكانت أخطر الثورات ، حيث امتدت ما بين ماردة Merida وقورية غربا الى ثغور وادى الحجارة ، Guadalajara وكونكه Guenca شرقا ، أو بعبارة أوضح عمت جميع الهضبة ، التي تتوسط شبه جزيرة الأندلس . (4) وقد استمرت هذه الثورة ، ما يقرب من عشر سنوات أي من سنة 151 هـ / 768 م الى سنة 160 هـ / 777 م .

ولعلها أول محاولة لاقامة دولة شيعية في الغرب الأسلامي ، اذ انها سبقت قيام دولة الادارسة في المغرب الأقصى ، بنحو عشرين سنة . (5) وبهذه الاجراءات الوقائية ـ ان صح التعبير ـ التي قام بها أمراء بنى أمية الأوائل في الأندلس ، قدر لهذا البلد ، أن يبقى بعيدا عن التشيع ولم يقدر لهذا الحزب أن ينجح فيه .

ومات الحكم الربضى سنة 206 هـ / 821 م ، وتولى بعده ابنه عبد الرحمن الثاني أو الأوسط ، الذي ازدهرت الأندلس في عهده ، وعمها الرخاء لما كفل لها من هدوء واستقرار ، (6) حتى عرفت أيامه بأيام العروس .

---

(1) المقدسى (شمس ابو عبد الله) احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، ص 237 طبعة ليدن 1906 م .
(2) نفس المصدر ، ص 236 .
(3) ابن عذارى البيان ، جـ 2 ص 54 ـ أبن خلدون : العبر ، جـ 6 ص 266
(4) د . محمود على مكى : التشيع في الأندلس ، ص 6
(5) نفس المرجع ص 7
(6) المقرى : نفح الطيب ، جـ1 ص 325

وقد استطاع عبد الرحمن الاوسط ، بالاضافة الى ما قام به من منشآت عمرانية ، وتطوير في الجهاز الاداري ، أن يحافظ على أملاك المسلمين بالأندلس ، وأن يقضي على الفتن الداخلية ، كما أوقف الزحف المسيحي في الشمال ، وأنشأ أسطولا حمى به سواحل الأندلس من غارات أهل الشمال ، النورمانديين أوالمجوس ، وموضع الأهمية هنا ، أنه في عهد هذا العاهل الكبير ، بدأت معالم العلاقة الأندلسية المغربية تتضح وتأخذ شكلا جديداً ، اتسمت بالصداقة مع بعض الدويلات المغربية ، وبالعداء مع بعضها الآخر .

ولا شك أن النجاح البحري ، الذي أحرزته البحرية الأغلبية في وسط ، وغرب البحر المتوسط عند فتح جزيرة صقلية ، يكون قد لقي ترحيبا وتقديرا ، لدى المسلمين في الأندلس ، ولكنه ربما يكون قد أزعج عبد الرحمن الاوسط (206 / 238 / 821 ـ 852 م) في الوقت نفسه لخوفه من احتمال امتداده الى شواطئ بلاده ، وتهديده ، لنفوذهم في جزر البليار ، (1) بالسيطرة على وسط البحر المتوسط وغربه ، بأساطيلهم القوية التي لم تكن تتوفر لدى الأمويين في الأندلس ، بهذه الضخامة والقوة ، إذ كان اسطولهم في ذلك الوقت لا يزال محدودا تشرف على تسييره جماعة بحرية اندلسية ، مستقلة عن الإمارة ، ولا تخضع هذه الجماعة للاشراف الفعلي لامراء قرطبة ، (3) على أن هذا الوضع لم يلبث أن تغير تماما ، منذ عهد الامير عبد الرحمن الاوسط ، الذي اهتم بتقوية البحرية الأندلسية ، ولم يلبث الاسطول الأندلسي ، أن راح يجوب البحر نحوجزيرة صقلية سنة 214 / 829 م أي بعد سنتين فقط من ظهور الأسطول الأغلبي في البحر المتوسط وكان الأسطول الأندلسي ، الذي أقلع من ميناء طرطوشة ، يتألف من ثلاثمائة سفينة حربية بقيادة أمير البحر أصبغ بن وكيل الهوارى المعروف بفرغلوش (4) .

ولما اقترب من صقلية ، وجد المسلمين المجاهدين في ضيق شديد ، فساعدهم ضد الروم وقام بدور بالغ الأهمية ، في هذه المعركة البحرية ، حيث استطاع أن يستولى

---

(1) د. محمود اسماعيل : الخوارج في المغرب الاسلامي ، ص 105 دار العودة بيروت 1976م .

(2) ارشبالد لويس : القوى التجارية التجارية في حوض البحر المتوسط ، ص 131 ترجمة أحمد محمد عيسى ، مراجعة وتقديم محمد شفيق غربال ، القاهرة 1955 .

(3) L. Provençal : Histoire, T. I., p. 244.

(4) ابن عذاري : البيان المغرب ، ج1 ص 104 ـ ويبدو أن عدد السفن الحربية الأندلسية التي اشتركت في فتح صقلية مبالغ فيها أنظر كتاب : L. Provençal : Histoire, T.I p. 243 Not. (1)

على مدينة بلرم ، وذلك سنة 215 هـ / 830 م ، (1) ومن ثم تمكن الاغالبة من بسط نفوذهم ، على معظم جزيرة صقلية ، غير أن هذه المساعدات الأندلسية لم تدم طويلا بسبب التقارب الذي تم بين الامير عبد الرحمن الأوسط ، والأمبراطور البيزنطي ثيوفل سنة 225 هـ / 839 م (2) .

وعلى الرغم من هذه المساعدات البحرية ، التي قدمها الامير عبد الرحمن الأوسط للمجاهدين الاغالبة في صقلية ، بحكم الأخوة في الإسلام . الا أنه حرص في الوقت ذاته ، على انيتحالف مع الرستميين الخوارج في المغرب الأوسط ، ليكونوا له درعا واقيا ، يدرأ به أي خطر يلوح من جانب هؤلاء الاغالبة أو الأدارسة العلويين في المغرب

علاقة بنى أمية بالرستميين في تاهرت :

وبحكم موقع بنى رستم الجغرافي ، في المغرب الأوسط ، وظروفها السياسية والمذهبية ، توجهوا الى بنى أمية في الأندلس وعقدوا معهم تحالفا وديا ، (3) لانهم كانوا يتوسطون فكى كماشة ـ أن صح التعبير ـ العدو الشرقى المتمثل في الاغالبة ، والعدو الغربي المتمثل في الادارسة وبنى سليمان العلويين .

وكان من الطبيعي والحالة هذه ، أن يحدث تقارب ودي ، وربما عسكري وسياسي واقتصادي وحضاري ، بين بنى رستم في تاهرت ، وبين بنى أمية في الأندلس ، تدفعهم في ذلك مصالحهم السياسية ، ودفع العدو المشترك ، اذ أن الخصومة كانت على أشدها بين العباسيين والاغالبة ضد بنى أمية في الأندلس من جانب ، وبين العباسيين والاغالبة ضد الرستميين من جانب آخر ، (4) وكذلك تجمعهما عداوة الادارسة من جانب ثالث .

---

(1) L. Provençal : Histoire, T.I., p. 244

(2) د . أحمد مختار العبادي : دراسات ص257 ، وحول السفارة البيزنطية التي توجهت لقرطبة في عهد عبد الرحمن الأوسط ورده على مطالب البيزنطين واقتراحاتهم . راجع ما كتبه ليفي بروفنسال :

L. Provençal : Un échange d'ambassades entre Cordoue et Byzance au 10ème Siècle reprond en Islam d'occident. Etudes d'histoir medival. p. 99. Sqq. Paris 1948

الترجمة العربية ، تبادل السفارات بين قرطبة وبيزنطه في القرن (9) م ص 92 وما بعدها .

(3) L. Provençal : Histoire, T. I., p. 245.

IBID, T.I. p. 245. CABRIELL. F. Ommeyyds d'espagne et Abassides XXXL. p. 93 (Studia Islamica) 1970

(4) د . ابراهيم العدوى ، بلاد الجزائر ، ص 220

وقد وجدها الأمويون فرصة سانحة لتحقيق اهدافهم فلم يترددوا في الإستجابة الى رغبة الامام الرستمي ، عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم امام تاهرت ، (1) وذلك لان البناء السياسي للامارة الأموية ، جعلها لاتطمئن لدولة الاغالبة ، الممثلة للخلافة العباسية المعادية للبيت الأموي ، ولدولة الادارسة الممثلة للبيت العلوي ، الحانق على الامويين .

وصارت السبل بذلك مسدودة أمام هذه الامارة الاموية الوليدة ، من ناحية المغرب الأدنى (افريقية) ، حيث يوجد الاغالبة ، والمغرب الأقصى ، حيث يوجد الادارسة ، ولم يبق أمامها ، ما يربطها بالعالم الإسلامي ، الا ذلك الجسر الذي تعبر منه الى المغرب عن طريق ، الدولة الجزائرية الرستمية الا باضية في تاهرت (2) .

وقد اتسمت العلاقة الأموية الرستمية بالطابع الودى ، بغض النظر عن الاختلاف المذهبي بينهما ، فبنو أمية ـ كما سبقت الاشارة ـ سنيون متعصبون لمذهب أهل السنة أما بنورستم فهم خوارج اباضية ، غير أن هذا المذهب الذي يعتنقونه ، يعتبر أكثر المذاهب الخارجية ، اعتدالا وأقربها الىمذهب السنة (3) .

لكنها على أية حال علاقة سياسية ، وليست علاقة مذهبية ، أو بعبارة أوضح ، انفتاح سياسي بعيد كل البعد ، عن التيارات المذهبية الدينية . ولا نستطيع أن نحدد تاريخ ابتداء هذه العلاقة بين الدولتين ، الا انه يمكن القول بانها ترجع الى عهد عبد الرحمن الداخل ، الذي كان قد اتصل بهذه العائلة الرستمية في الشمال الافريقي ، وهو أمير على الأندلس ، أو لان أجداد عبد الرحمن بن رستم كانوا مواليا لبنى أمية ، ويؤكد ذلك قول ابن حزم في كتابه انساب العرب « ابن رستم الجد الاول لمؤسس تاهرت الحديثة ، كان مولى لعمربن يزيد بن عبد الملك بن مروان » (4) .

---

(1) ابن تاويت : دولة الرستميين ص 12

(2) د . ابراهيم العدوي : المرجع السابق ، ص 212 ، سلفادور غومث نوسفاليس : الرستميون كحلقة الوصل بين الجزائروالأندلس ، ص 1 ، الملتقى الحادى عشر للفكر الإسلامي بورجلان يناير 1977 م .

(3) Lewiki T. : Al Ibadiyya, encyclopédie de l'Islam, T. 3., p. 669 SQQ, Nouvelle édition, Leiden, Paris, 1971. راجع ايضا : دائرة المعارف الإسلامية ، مادة الاباضية المجلد الاول ص 130

(4) أبن حزم جمهرة انساب العرب ، ص 474 ـ 475 ، ابن حيان المقتبس ، ص 267 تحقيق محمود على مكى . وحول اتصال عبد الرحمن الداخل بنى رستم في بلاد المغرب انظر : المقرى : نفح الطيب ج 1 ص 28 ، والمستشرقة الاسبانية ماريا خيسوس فيغيرا : محمد وعبد الرحمن بن رستم في قرطبة ص 19 الملتقى الحادى عشر للفكر الاسلامى بورجلان 1977 م . الميلى في تاريخ الجزائر في القديم والحديث ج2 ص 16 .

ولم تلبث هذه العلاقة السياسية الطيبة ، أن اخذت طابعا قويا بين البلدين ، واحيانا مظهرا رسميا ، في كثير من المناسبات ، فقد اشارت بعض النصوص التاريخية (1) إلا أن عبد الرحمن الأوسط أمير قرطبة ، استقبل في بلاطه وفدا رسميا من « تاهرت » يتكون اعضاؤه من أبناء الامام عبد الوهاب الرستمي ، سنة 207 هـ / 822 م . وهؤلاء الابناء هم : عبد الغني ، دحيون ، وبهرام ، وكان يوم وصولهم الى قرطبة يوما مشهودا (2) بحيث بالغ الامير عبد الرحمن الأوسط ، في حفاوة الاستقبال والترحيب بالوفد الرستمي ، وكان معهم كريما سخيا ، اذ أنفق عليهم حسب ما يذكره ابن سعيد ، ألف ألف دينار (مليون دينار) (3) وأغدق عليهم الهدايا الثمينة ، ثم أعادهم الى بلدهم . وتضيف الرواية ان السفينة التي اقلت دحيون وبهرام ، ابتلعتها الامواج وغرقت بمن عليها اما السفينة التي كانت تقل عبد الغني ، فقد نجت بعد محنة طويلة في البحر رست على الشاطىء الجزائري ، وعند وصول عبد الغني الى تاهرت وجد أباه قد توفي منذ سبعة اشهر ، وتولى أخوه افلح بن عبد الوهاب الامامة (4).

ولم تقتصر سياسة التقارب هذه ، بين « تاهرت » وقرطبة على النواحي السياسية ، بل اشتملت ايضا على النواحي الاقتصادية والعسكرية ، ولعل محاصيل تاهرت الزراعية ، كانت تجد طريقها في كثير من المناسبات ، الى مخازن قرطبة ولا سيما في سنوات المحن ، التي عانت منها الاندلس ، كذلك استفادت حكومة قرطبة بكل ما تحتاجه من المقاتلين الجزائريين ، والمغاربة على وجه العموم ، وخاصة فرسان زناتة الذين بنت بهم جيشا ، ولم تتردد حكومة تاهرت في امداد الاندلس بهؤلاء المحاربين الاشداء بصورة مستمرة ، بل

---

(1) ابن سعيد المغربي : المغرب في حلى المغرب جـ1 ص 48

(2) L. Provençal : Histoire, T. I., p. 244

وجاء في كتاب المستشرق الفرنسي G. Marçais انه نقل عن مؤرخ مجهول عاش في القرن الثالث الهجري / 9 ميلادي بأن الوفد الذي توجه الى قرطبة كان يتكون من ولدين لعبد الرحمن بن رستم أي من اخوة عبد الوهاب وليس من أبنائه . أنظر : La berberie musulmane de l'Orient p. 104

(3) ابن سعيد المغربي : المصدر السابق ، جـ 1 ص 48 ويبدو أن هذا الرقم مبالغ فيه . ربما يكون درهما بدلا من دينار ، لأن المقري ، يروي عن ابن سعيد نفسه ، أن الجباية بلغت في عهد عبد الرحمن الأوسط ، ألف الف دينار (مليون دينار) ، وليس من المعقول أن ينفق الامير الاندلسي عليهم ميزانية الامارة كلها . انظر

(4) كتاب المقرى : نفح الطيب جـ1 ص 325 L. Provençal : Histoire, T. I. p. 244.

ورد في بعض النصوص ، ما يشير الى تواجد بعض رجال الاسرة الرستمية ، في وظائف عالية في بلاط الامارة الأموية في قرطبة (1) .

ويبدوأن هؤلاء الرستميين ، قد استقروا في الأندلس أثناء سفارة عبد الوهاب بن رستم للامير عبد الرحمن الاوسط ـ السالفة الذكر ـ أوقبلها (2) ، ويذكر ابن الابار (3) ، أن أول من دخل منهم أرض الأندلس ، هو سعيد بن محمد بن عبد الرحمن بن رستم ـ حفيد منشىء الدولة ـ وقد اتصل ابنه محمد بن سعيد بالامير الاموي عبد الرحمن بن الحكم ، عندما كان وليا للعهد ، ونائبا لأبيه الحكم على كورة شذونة ، في جنوب الاندلس ، فاستقر محمد هذا في ناحية من نواحي الجزيرة الخضراء ، بالقرب من شذونه ليكون قريبا منه ، فلما ولى عبد الرحمن الامارة سنة 206 هـ / 821 م . استقدمه الى قرطبة ، واصطنعه وعهد له بخطة الوزارة ، وقيادة الجيش ، وغيرهما من الخطط (4) ثم عهد اليه في سنة 214 هـ / 829 م ، بولاية الثغر الادنى (طليطلة) حينما نشبت ثورة هشام الضراب في هذه المنطقة ، وكان لمحمد بن سعيد الرستمي دوركبير في اخمادها (5) وكذلك تشير المصادر الى بلاء هذا الامير الجزائري بلاءا حسنا ، ضد هجوم النورمانديين ، على السواحل الاندلسية ، سنة 230 هـ / 844 م (6) .

يضاف الى ذلك أن محمدا كان أديبا وحكيما وشاعرا مفوها ولاعبا للشطرنج مما يدل على أن هذه الاسرة كانت تتمتع بمكانة فكرية طيبة (7) ، ومن الطريف أن هذا

---

(1) L. Provençal : Op. cit., T. I., p. 245

(2) وتعتقد المستشرقة الاسبانية « ماريا » ، ان وصول سعيد بن محمد بن عبد الرحمن بن رستم الى الاندلس ، كان عقب عودة عبد الله البلنسي من تاهرت الى الاندلس ، على اثر وفاة اخيه هشام وتولية الحكم بن هشام العرش سنة 180 796م . أنظر مقالها السالف الذكر ص 15 .

(3) الحبة السيراء ، ج1 ص 372 ـ 373 L. Provençal : Op. cit., T. I., p. 245, not 1.

(4) ابن حيان ، المقتبس ، ص 267 ، 268 ، الحاشية 109 تحقيق د . محمود على مكى .

(5) ابن عذارى : البيان ، ج2 ص 82

(6) العذري : المصدر السابق ، ص 99/ 100 ، ابن عذاري المصدر السابق ، ج 1 ص 82ـ083

(7) A. Bel : La religion musulmane en berbérie, esquise d'histoire et sociologie religieuse, T.I., p. 148-149, Paris 1939.

الأمير ، قد تزوج من احدى بنات المغني والموسيقى وأستاذ الاناقة الأندلسية «زرياب» (1) مما يدل أيضا ، على هوايته للموسيقى وشغفه بها .

وهناك شخصية جزائرية نبيلة أخرى ، لعبت دورا هاما في حكومة قرطبة، في ذلك الوقت ، وهي شخصية الامير عبد الرحمن بن رستم ، الذي تولى الوزارة والحجابة في عهد عبد الرحمن الأوسط أيضا ، ويرجح أن يكون هذا الامير الجزائري ، ابنا أو أخا لمحمد بن سعيد بن عبد الرحمن بن رستم السالف الذكر (2) ، وكان ابن رستم يتداول منصب الحجابة ، مع عيسى بن شهيد الى أن توفي (3)

وكما أستعان الأمويون بالجزائريين ، في ادارة اعمالهم ، وقيادة جيوشهم استعان الرستميون أيضا بالخبرات الأندلسية ، في بلاطهم منذ أيام المؤسس الأول عبد الرحمن بن رستم ، حتى اصبحوا اعضاء بارزين ، في مجلس الشورى الاباضي التاهرتي ، وقد اشتهر من بين هؤلاء الوافدين الأندلسيين ، اثنان هما : عمران بن مروان الأندلسي ومسعود الأندلسي ، وقد كانا من بين السبعة أشخاص ، الذين رشحهم الامام عبد الرحمن بن رستم ، لامامة الأباضية في تاهرت قبل وفاته (4)

ولم تقف العلاقة الاموية الرستمية عند حد السياسة فقط ، بل تعدت ذلك الى الميدان التجاري ، فقد كانت السفن التجارية تتردد بين الموانيء ، المغربية والاندلسية مثل ميناء « فروخ » الجزائري (5) ، ومثل : مرسى الجزيرة الخضراء ، وبجانة وشاطبة ، وغيرها من الموانيء الاندلسية ، الممتدة على الساحل الجنوبي والجنوب الشرقي في ذلك الوقت ، محملة بالمتاجر وبالعلماء وبالمسافرين (6) . ولا يبالغ الاستاذ على دبوز حينما يعتقد ، أن قيام دولة بني رستم في المغرب الأوسط ، مكنت امارة عبد الرحمن الداخل

---

(1) ابن حيان : المصدر السابق ، ص 268 حاشية 109

(2) L. Provençal : Histoire, T. I., p. 246.

(3) ابن حيان : المقتبس ص 167 ـ 168 تحقيق د . محمود علي مكي .

Masqueray : Chronique d'Abou Zakaria, p. 54-59, Alger, 1879.

(4) الدرجيني : المصدر السابق ، جـ1 ص 46 ، ايبروني : ازهار ، ص 99

(5) مرسى فروخ هو الميناء الوحيد والرئيسي الذي ينفذ منه ، بنو رستم للبحر ويقع في منطقة وهران ، عاصمة الغرب الجزائري مابين مدينتي مستغانم وارزيو ، وتسمى حاليا مرسى الدجاج انظر د . حسين مؤنس : اثر ظهور الإسلام في الاوضاع السياسية ، ص 122 .

L. Provençal : Histoire, T. I., p. 282, not (2).

(6) د . السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، جـ2 ص 569

من الرسوخ في الاندلس ، واتاح لها السبيل الى الازدهار. كما كانت الدولة الرستمية بمثابة الجسر ، الذي يصل بين الامويين من جهة والمغرب الاوسط ، ومنه الى المشرق من جهة أخرى (1) ولا سيما بعد أن اغلقت أمامهم ، السبل الى كل من أفريقية والمغرب الأقصى ، بقيام دولة الاغالبة ، ودولة الادارسة كما ذكر ، لذلك توثقت الصلة بين بني أمية وبني رستم ، وتبادلوا الهدايا والوفود ، تدعيما لهذه الصداقة والروابط المتينة ، التي تربطهم من أجل دفع العدوالمشترك .

كذلك قام البحريون الاندلسيون ، بانشاء مدن وثغور على طول ساحل المغرب الاوسط ، وقد استقرت في هذه المدن جاليات اندلسية ، وذلك بعد موافقة القبائل البربرية المغربية ، ومن بين هذه الثغور والمدن مدينة تنس Ténès ، التي انشأت سنة 262 هـ / 902 م (2) . واصبحت محطة تجارية هامة تختلف اليها السفن الاندلسية في فصل الشتاء ، ثم تعود منها في فصل الصيف ، وكان يسكنها فريقان ، من أهل البيرة ، واهل تدمير من الأندلس (3) ، ويذكر صاحب كتاب الاستبصار ، أنها كانت كثيرة الزرع رخيصة الاسعار ، ومنها يحمل الطعام الى الاندلس والى بلاد افريقية ، والمغرب لكثرة ما لديهم من الزرع (4) .

ومدينة وهران Oran ، التي اقامها اثنان من رجال الدولة الأموية ، هما : محمد بن أبي عون ، ومحمد بن عبدون ، وجماعتهما سنة 290 هـ / 902م وقد استوطنوها بموافقة القبائل المغربية أيضا ، مثل قبيلة « نفزة » وبنى مسكين أو مسغن (5) ، لمدة سبع سنوات ، أقاموا خلالها ـ حسب ما يذكر ابن خلدون ـ الدعوة لبنى أمية في الأندلس حتى ظهرت الفواطم في أفريقية ، واستولوا على تاهرت ، فضمت مدينة وهران الى اعمالهم (6) ، وقد سيطرت هذه الجاليات الاندلسية ، على كثير من المدن الساحلية

---

(1) الاستاذ ديوز : تاريخ المغرب الكبير ، جـ3 ص 350 القاهرة 1963م .

(2) البكرى : المغرب ص 61 ـ ابن حوقل (ابو القاسم) صورة الأرض ، ص 78 بيروت 1962م. الاستبصار ص 133 .

(3) البكرى : المصدر السابق ص 61

(4) كتاب الاستبصار . ص 133 .

(5) قبيلة مسكين أو مسغن بطن من بطون قبيلة ازداجة ، تسكن منطقة وهران انظر البكري المغرب ص 70 ـ ابن خلدون العبر ، جـ6 ص 294

(6) ابن خلدون : العبر ، جـ6 ص 294

الجزائرية مثل : مدينة بونة (عنابة) وبجاية ومرسى فروخ (1) واستحوذت على التجارة بها وكانت تختار « عريفا » من بينها يمثلها ، لدى القبائل المغربية ، ينظم أمور التجارة معهم (2) .

ويتضح من هذا ، أن الاسطول الاندلسي ، اتخذ في نشاطه البحري وجهتين : وجهة سلمية هدفها النقل والتجارة مع بلاد المغرب وافريقية ، ووجهة اخرى حربية ، هدفها مهاجمة الشواطيء الاوروبية .

وقد كان النشاط في كلتا الوجهتين عظيما ، ومن الثابت أن معظم الملاحين ، كانوا من المولدين والمتعربين والبربر والعرب (3) . دخل المغرب في اواخر القرن الثالث الهجرى التاسع الميلادى ، مرحلة من الاستقرار والهدوء ، الذي كفل له الازدهار الزراعي ، حيث كست معظم اقاليه اشجار الزيتون والكروم ، وامتلأت سهوله الوسطى بالحبوب الوفيرة ، ولم يكن ازدهار الصناعة في المغرب ، ـ في ذلك الوقت ـ بأقل من الانتعاش الزراعي (4) ، فضلا عن نشاط الحركة التجارية مع البلدان المجاورة للمغرب مثل السنغال : والنيجر وغانا (بلاد السودان) التي كان يتوفر فيها الذهب الخام ، والعاج وريش النعام ، والجلود والرقيق الاسود (5) . وقد ضرب الرستميون في التجارة بسهم وافر ، وأصابوا منها ارباحا طائلة . وقد أهل الموقع الجغرافي لمدينة سجلماسة ، أن تكون همزة وصل بين المغرب في الشمال ، وبلاد السودان في الجنوب ، حتى اصبح يطلق عليها « باب الذهب » (6) . وكان هؤلاء المدراريون ، تربطهم روابط التحالف والمصاهرة مع أصحاب « تاهرت » (7) وقد أدى هذا الترابط الى تعميق أواصر الاتصال السياسي والتجاري بين البلدين ، وكانت توجد ثلاثة طرق تجارية صحراوية ، تعبر منها القوافل

---

(1) حسن مؤنس : اثر ظهور الإسلام في الاوضاع السياسية والاقتصادية ، في البحر الأبيض المتوسط ، ص 123 ـ المجلة التاريخية المصرية ، (م 7) عدد (1) مايوسنة 1951م .

(2) نفس المرجع ص 123

(3) نفس المرجع ص 122 د. عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية ، ص 35

(4) ارشبالد (لويس) : المرجع السابق ، ص 252

(5) الاستبصار، ص217ـد. ابراهيم العدوى : بلاد الجزائر، ص200

(6) الاستبصار ص 202

(7) ابن خلدون : كتاب العبر ، جـ6 ص 268

باستمرار ، لتنقل المنتجات المغربية الى بلاد غانا والسودان ، ولتستورد منهما الذهب ، وغيره من السلع التي تتوفر في هذه المنطقة ، (بلاد السودان) وكان الرستميون يهيمون على هذه الطرق التجارية الثلاثة (1)

أ ـ الطريق الاول يربط بين تاهرت ومدينة سجلماسة ، ثم السنغال جنوبا .
ب ـ الطريق الثاني ، في الوسط يمر عبر مدينة ورجلان (2) . ومنها الى عنق نهر النيجر .
جـ ـ أما الطريق الثالث ، فيقع الى الشرق ، ويمتد من الجريد مارا بمدينة غدامس ثم الى قلب السودان (3) .

فتح الرستميون أبواب مدينتهم تاهرت أمام التجار المغاربة ، والأندلسيين ، والمشارقة ، على حد سواء ، ووفروا لهم سبل الراحة والطمأنينة ، مما زاد في ثراء هذه المدينة ورخائها ، وازدهارها حتى بلغ نفوذها ، من تلمسان غربا الى طرابلس شرقا (4) ، وقد أطلق عليها بحق « عراق المغرب » تشبيها لها بعراق المشرق ، المزدحم بالاجناس والملل والنحل ، وقد وصفها الرحالة المقدسي بقوله « فانتعش فيها الغريب ، واستطابها اللبيب » (5) وبفضل موقعها الهام الذي يتوسط الجبال ، والسهول الزراعية الخصبة ، وفرّت كثيرا من المواشي ولم يفت ذلك ابن حوقل ، اذ وصفها بقوله : « بأنها (أي تاهرت) احدى معادن الدواب والماشية ، والغنم والبغال والبرازين ، والفراهنة ويكثر عندهم العسل والسمن وضروب الغلات » (6) .

وبطبيعة الحال فان هذا الازدهار لينعكس ـ لا محالة ـ على بلاد الاندلس ، مادامت هناك علاقة طيبة ، تجمع بينهما ، لاسيما وان السفن الاندلسية ، ترسو دائما

---

(1) ارشبالد لويس : المرجع السابق ، ص 255

(2) مدينة ورجلان ، هي ورقلة الحالية العاصمة الرستمية الثانية تقع جنوب القطر الجزائري وتبعد عن مدينة قسنطينة بنحو (500) كم جنوبا واليها ينسب المؤرخ الاباضي ابوزكريا الورجلاني .

(3) ارشبالد لويس : المرجع السابق ، ص 255 ـ مدينة غدامس تقع على الحدود الجزائرية الليبية .

(4) ابن الصغير : اخبار الائمة الرستميين ، ص 17 نشر Motylinski ص 17 طبعة باريس 1907 م أنظر الترجمة الفرنسية ص 73

(5) المقدسي : احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ص 228

(6) ابن حوقل : صورة الارض ، ص 86 ، وحول موقع تاهرت را لهم كتاب :

Despois R : Géographie de l'Afrique du Nord-Ouest p. 188 SQQ, Paris, 1967.

على السواحل الجزائرية ، وجالياتها مقيمة هناك ، فقد انتقل اليها الذهب (1) ، ومختلف البضائع والغلات المغربية والسودانية ، فضلا عن الرقيق الاسود (2) .

ويشير صاحب كتاب الاستبصار ، الى أهمية المدن الجزائرية الساحلية ، (المغرب الاوسط) من الناحية الزراعية ، اذ كان يكثر فيها الزرع والغنم والمواشي ومنها « تجلب الاغنام الى بلاد المغرب ، وبلاد الأندلس ، لرخصها وطيب لحمها » (3) . كما كانت تشحن من هذه المدن ، الابقار والابل ، الى الموانىء الاندلسية (4) ، وخاصة الميرة وضروب المرافق ، والتجارات المتبادلة بين الموانىء المغربية ، ومدينة بجانة الاندلسية (5) .

وكانت مدينة سبتة ممراً تجاريا بين المغرب الاقصى ، وجنوب الاندلس لاستيراد الأقمشة والخيوط والقطن ، وخشب الصباغة والتوابل ، وغيرها من المواد التي يحتاجها المغاربة ، وتصدر الجلود والملح والشمع والعسل والفاكهة المجففة والخيول (6) .

وبالمقابل فان التجار الاندلسيين ، يصدرون للمغرب وغانا وبلاد السودان (7) ماتنتجه بلاد الاندلس من مواد ، زراعية وصناعية وخاصة منها : القمح والارز وقصب السكر ، الذي يزرع بكميات كبيرة في القسم الادنى ، من حوض الوادى الكبير Guadalquivir على مقربة من اشبيلية ومالقة Malaga (8) . وكذلك كان الكتان والقطن من المحاصيل التي تزرع في أقليم البيرة واشبلية Sevilla وكان القطن يحمل الى المغرب ، حيث يباع با ثمان مرتفعة (9)

---

(1) ارشبالد لويس : القوى البحرية ص 260

(2) كتاب الاستبصار، ص 213 ، 153 ، 217

(3) نفس المصدر ص 179

(4) ابن حوقل : المصدر السابق ، ص 97

(5) الحميرى : الروض المعطار، ص 38

(6) ليفى بروفنسال : ادب الاندلس وتاريخها ، ص 109

(7) العذرى : المصدر السابق ص 19 راجع أيضا :

Lewicki T.: Traits d'histoire du commerce transsaharien, marchands et missionnaires ibadites en Soudan occidental et central au cours des VIIe et XIIe siècles, p. 291 SQQ

(8) ارشبالد لويس : المرجع السابق ، ص 259 ، راجع :

Cardonne : Histoire de l'Afrique et de l'Espagne sous la domination des Arabes T.i. p. 340

(9) ياقوت الحموى (شهاب الدين) معجم بلدان ، جـ1 ص 275 ليزيج 1869 العذري : المصدر السابق ص96

أما عن المجال الصناعي فقد بلغ هو الآخر شأواً كبيراً ، وخاصة في عهد عبد الرحمن الاوسط ، اذ عم بلاد الاندلس الهدوء والاستقرار ، وهذا شرط اساسي لازدهار البلاد ، ورخائها ورفاهيتها ، ومن بين هذه الصناعات التي اشتهر بها الاندلسيون في ذلك الوقت ، صناعة الأقمشة الكتانية والقطنية لكثرة الأغنام ، ووفرتها وصناعة الخزف ، الرقيق ، والتحف الذهبية والفضية والمصنوعات الجلدية والدروع والخوذ ، وأنواع أخرى من الاسلحة المختلفة (1) ، وقد اشتهرت مدينة طليطلة بصناعة السيوف (2) .

وكانت اكثر الجهات تقدما في الصناعة والزراعة هي الركن الجنوبي الشرقي ، من العدوة الاندلسية أي الجزء المواجه للبحر ، والمقابل لبلاد المغرب ، وافريقية (3) . وأهمها مدينة المرية ، التي تعتبر من انشط الموانىء الاندلسية ، في الحركة التجارية ، مع العالم الإسلامي بجناحية الشرقي والغربي ، ولما كانت تتمتع به من صناعة مترفة . في الأقمشة الحريرية ، الثقيلة المنسوجة بالذهب فقد بلغ فيها نحو ثلاثمائة حرف من نسيج الحرير . ولا شك ان هذه المصنوعات كانت تجد رواجا في أسواق العالم الإسلامي (4) .

وكيفما كان الحال ، فإن معظم الرحالة يشيرون الى أن سكان المغرب والاندلس ، كانوا يتعاملون تجاريا ، بحرية وعلى نطاق واسع جدا وبدون قيود ، والظاهر أن التوترات السياسية ، والاختلافات المذهبية . التي كانت سائدة آنذاك في الغرب الإسلامي وشرقه ، لم تكن لها تأثيرات على حركة التجارة بل من الثابت أن التجار المسلمين ، كانوا يجوبون بقوافلهم ، بحرية تامة من المغرب الى المشرق (5) ، ومن المشرق الى المغرب وبلاد الأندلس ، وان السفن الأندلسية كثيرا ما كانت ترسو ببضائعها في الموانىء المغربية ولم تقف عند هذا الحد ، بل وصلت الى ميناء الاسكندرية ، تفرغ بضائعها الاندلسية ،

---

(1) Cardonne : Op. cit., T. I., p. 340.

(2) ليفي بروفنسال : حضارة العرب في الأندلس ، ص 53 / 54 ترجمة دوقان قرقوط بيروت بدون تاريخ +.

(3) ارشبالد : المرجع السابق ، ص 260

(4) ليفي بروفنسال : ادب الأندلس وتاريخها ، ص 104

(5) ابن حوقل : صورة الارض ص 95

وتشحن التوابل والمنتجات الشرقية النادرة ، مثل التحف والكتب الادبية والعلمية الى الاندلس (1) .

أما الرقيق الأبيض أو الخصيان ، المهيأون لحراسة الحريم ، فقد كان التجار اليهود هم الذين يقدمونهم . وكان هؤلاء التجار عملاء وصيادين Rabbateurs في جنوب فرنسا وحتى في فردان (2) . ويذكر الرحالة المقدسي ، أن الصقالبة كانوا يحملون الى مدينة تقع خلف مدينة « بجانة » ، حيث تسكنها جالية كبيرة من اليهود ، متخصصين في عملية خصي الرقيق وبيعهم (3) .

ويشير المؤرخ الأمريكي ارشبالد لويس ، الى أن تجار الاندلس ، لم يتعاملوا كثيرا مع الغرب اللاتيني ، وأن التبادل التجاري بينهم كان محدودا ، وعلى نطاق ضيق . اذ تركوا هذه المهمة للتجار اليهود ، الذين كانوا يترددون على الأسواق الاندلسية ، حاملين معهم الرقيق الابيض (4) .

ولكن يبدو أن المؤرخ ارشبالد لويس مبالغ في رأيه ، اذ أن هذه العمليات التجارية مع الغرب لم تقتصر على تجار اليهود وحدهم ، بل شارك فيها التجار المسلمون ايضا ، ولا سيما في مناطق الثغور الشمالية ، المتصلة بفرنسا ، ويؤيد ذلك قول المقرى : « وقد تعلم الخصاء قوم من المسلمين هناك ، فصاروا يخصون ويستحلون المثلة » (5) .

---

(1) الادريسي (الشريف) وصف المغرب والأندلس من كتاب (نزهة المشتاق في اختراق الآفاق) ص 197 / 198 نشر دوزي ودي غوة Dejoy ليدن 1886 م ـ ابن عذاري : البيان ، ج2 ص 92 ـ راجع ليفي بروفنسال حضارة العرب في اسبانيا ، ص 53 / 54 ـ وكتابه : ادب الاندلس وتاريخها ، ص 104 ـ ارشبالد : القوى البحرية ص 177 ـ د . احمد مختار العبادى : في تاريخ المغرب والأندلس ، ص 139 .

Cardonne: Op. cit., T. I., p. 339.

(2) ليفي بروفنسال : حضارة العرب في اسبانيا ، ص 77

(3) المقدسي : احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، ص 242

(4) ارشبالد لويس : المرجع السابق ص 274 انظر ايضا كارل بروكلمان تاريخ الشعوب الإسلامية ص 153 بيروت 1954 Dozy: Histoire des musulmans, T. 2., p. 154.

(5) المقرى : نفح الـ يب ، جـ1 ص 140 د . احمد مختار العبادى : دولة المماليك الاولى في مصـــر والشام ص 36 النهضة العربية بيروت 1969 م ـ راجع أيضا لنفس المؤلف : الصقالبة في اسبانيا لمحة عن أصلهم ونشأتهم وعلاقتهم بالحركة الشعوبية ص . المعهد المصرى مدريد 1953م د . محمود علي مكي : الرحلات بين المشرق والاندلس ص 42 مجلة البينة (عدد ثاني) يونية 1962م .

استمر التمثيل الدبلوماسي ، والتشاور السياسي بين قرطبة وتاهرت ، وغدت هذه المراسلات بينهما ، تفيض باسمى وشائج المودة والتضامن ، ففي عهد الامام أفلح بن عبد الوهاب (207 ـ 258 / 822 ـ 871 م) . قام أبـو العباس محمـد بن الاغلب (226 ـ 242 / 840 ـ 856 م) ، ببناء مدينة بجوار مدينة « تـاهـرت » ، واطلق عليها اسم « العباسية » نسبة اليه ، ونقض بذلك اتفاق الهدنة المبرمة بينهما (1) ، وكان الغرض من بناء هذه المدينة ، تضييق الخناق على مدينة « تاهرت » . لكن الامام افلح لم يتردد في ثلم أسوارها وحرقها بعد اتمام بنائها سنة 227 هـ / 841 م . وارسل الى العاهل الاندلسي ، يخبره بذلك ، فرد عليه عبد الرحمن الاوسط ، بمكافأة مالية قدرها ، مائة الف درهم ، تقد يرا لهذا العمل الجليل (2) .

ولما نجح قواد الامير عبد الرحمن الاوسط ، وعلى رأسهم القائد الجزائرى محمد بن رستم ، في انزال الهزيمة بالنورمانديين سنة 230 هـ / 824 م ، أرسل صاحب قرطبة رسولا الى الامام افلح ، صاحب تاهرت تخبره بما تم له من انتصار على هؤلاء المجوس (3) وأرسل أيضا بالخبر نفسه الى حلفائه من سكان طنجة وضواحيها من قبيلة صنهاجة ، وهذا دليل ، على ان الأمير عبد الرحمن الاوسط . قد امتد نفوذه الى المغرب الاقصى ، كما سنرى بعد قليل ، فابن عذاري يذكر أنه « كتب الى من بطنجة من صنهاجة ، يعلمهم بما كان من صنع الله في المجوس ، وما انزل فيهم ، من النقمة والهلكة ، وبعث اليهم برأس أميرهم ، وعمائتى رأس من أنجادهم (4) » .

ولما تولى الامير محمد بن عبد الرحمن الاوسط عرش الاندلس سنة 238 هـ / 852م آثر أن يسير في السياسة التي رسمها والده ، وهي الاستمرار في العلاقة الطيبة والودية ، مع البيت الرستمى ، وغيرهم من امراء المغرب ، فاوفد الى بلاط « تاهرت » ، سفارة تعبر للامام افلح بن عبد الوهاب من جديد ، عن احترامه وتقد يره له ، كما عبر له عن رغبته ، في استمرار هذه العلاقة الصادقة بين البلدين ، وبعث له بهدية ثمينة وكان ذلك سنة 238 هـ / 853 م (5) .

---

(1) ابن تاويت التطواني : دولة الرستميين اصحاب تاهرت ص 14

(2) ابن الاثير الكامل في التاريخ ، جـ6 ص 369 ـ ابن خلدون : جـ4 ص 429 (طبعة بولاق) .

(3) L. Provençal : Histoire T.I., p. 245.

(4) ابن عذار البيان ، جـ2 ص 88

(5) L. Provençal : T. I., p. 245.

ويصف لنا المؤرخ القرطبي ابن حيان ، النفوذ المتزايد للامير محمد بن عبد الرحمن الأوسط ، في الشمال الافريقي ، وتتبعه لأخبار بني العباس في كل من القيروان ، ومصر وبلاد الشام بقوله : « كان الأمير محمد بن عبد الرحمن ، شديد التهمم بخبر الساحل والعدوة ، مراعيا هنالك من أخبار اعدائهم المسودة ، (العباسيين) متجسما عن عمالهم محتولا عنهم ، لكثير ممن يتعرف عليهم من ملوك البرابر العلقين اليه بالولاية ، لبني مدرار ملوك سجلماسة ، ومحمد بن افلح بن رستم امير تاهرت وغيرهم فلا تزال رسله وكتبه تتردد الى هذه الطوائف في البحث عن أخبار بني العباس ، بدار مملكتهم ، واخبار ولاتهم وعمالهم ، بالشام ومصر وافريقية » (1) .

كما يشير ابن عذارى المراكشي ، الى أنه أي الأمير محمد بن عبد الرحمن الاوسط « كان مأمولا محبوبا ، في جميع البلدان ، وكان محمد بن افلح صاحب تاهرت ، لا يقوم ولا يؤخر في أموره ومعظلاته ، الا عن رأيه وأمره ، وكذلك بنو مدرار بسجلماسة (2).

وظل بنو رستم على وفائهم لعهدهم ، في التعاون الصادق مع بني أمية . في الأندلس. فلم يسمحوا للخارجين على الامارة الاندلسية ، أن يقوموا بأي نشاط سياسي معاد لحلفائهم الامويين ، عند وصولهم الى الأراضي، الواقعة تحت نفوذهم ، وقد روى ابن القوطية ، قصة طريفة تدل على مدى هذا التعاون السياسي ، المتبادل بين الامويين في الاندلس ، والرستميين في المغرب الاوسط ، وذلك عندما تحدث عن حركة الثائر « عمر بن حفصون » (3) ، الذي قام بثورة ضد أمراء قرطبة ، فتشير القصة الى قدوم عمر هذا الى مدينة « تاهرت » ، بالمغرب الاوسط ، حيث اشتغل مساعدا لاحد الخياطين بالمدينة ، الذين وفدوا على تاهرت من كورة « رية » الاندلسية ، إن وجدت الجاليات

---

(1) ابن حيان : المقتبس ، ص 265-266 ، تحقيق محمد بن مكي ، طبعة بيروت 1973 م . راجع مقال ماريا خيسوس : محمد وعبد الرحمن بن رستم في قرطبة ص 16 .

(2) ابن عذاري المصدر السابق ، جـ2 ص 108 ، ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، القسم الثاني ص 24 .

(3) عمر بن حفصون ، هو صاحب الثورة ، التي امتدت مايقرب من اربعين سنة جنوب الاندلس ، ضد امراء بني أمية ، كانت بدايتها في عهد الامير محمد بن عبد الرحمن سنة 267 هـ / 880 ، واستمرت الى عهد الأمير عبد الرحمن الثالث ، الذي استطاع أن يقضي على فتنته بقتله سنة 305 هـ / 917 م . أنظر : ابن عذارى : البيان ، جـ 2 ص 117 ، 105 ، 131 وما يليها .
ابن حيان : المقتبس ، ص 120 تحقيق الاب ملشور باريس 1937 م . المقتبس ==

الأندلسية العديدة ، القادمة الى هذا البلد الغني مجالا خصبا لها ، في متابعة نشاطها التجاري والحرفي .

وبينما عمر بن حفصون يجلس مع الخياط في حانوته ، اذ اتاه شيخ معه ثوب يقطعه فقام اليه الخياط ، ووضع له كرسيا يقعد عليه ، ، فسمع الشيخ كلام ابن حفصون ، فانكره عند الخياط فقال له : من هذا ؟ فقال : غلام من جيراني « برية » أتى ليخيط عندى ، فالتفت الشيخ اليه ، وقال : متى عهدك برية ؟ قال : منذ اربعين يوما ، فقال تعرف جبل ببشتر ؟ فقال له : أنا أسكن عند أصله . قال له الشيخ : فيه حركة ؟ قال لا ، قال : قد آن له ذلك ، ثم قال له : هل تعرف فيما يجاوره رجلا ، يقال له عمر بن حفصون ، فذعر من قوله وأخذ الشيخ ينظر اليه وكان ابن حفصون أفصم الثنية ، فقال له : يا منحوس تحارب الفقر بالابرة ارجع الى بلدك ، فانت صاحب بنى أمية ، وسيلقون منك غيا ، وستملك ملكا عظيما ، فقام ـ عمر بن حفصون ـ من فوره وذلك خوفا من أن ينتشر الأمر وأن يتقبض عليه بنو أبي يقضان (أئمة تاهرت) وكانوا مالكين تاهرت ، وولاؤهم لبنى أمية ، فأخذ خبزتين من الخباز ، والقاهما في كمه وخرج فأتى الأندلس » (1) .

أردت بهذا النص أن أبين ، مدى الذعر الذي انتاب عمر بن حفصون ، خوفا من أن يفضح أمره في مدينة « تاهرت » . وأن تقبض عليه السلطات الحاكمة هناك ، قبل خروجه الى الاندلس ، وهذا يؤيد بصورة واضحة ، مدى التعاون الايجابي ، بين الرستميين والأمويين ضد أي حركة عصيان تظهر في هذين البلدين . ولقد استمرت هذه العلاقات الودية ، قائمة بين تاهرت وقرطبة ، الى أن زالت بزوال دولة بني رستم ، وسقوط تاهرت على يد الداعي ، أبي عبد الله الشيعي مؤسس الدولة الفاطمية في المغرب ، سنة 296 هـ / 908م .

حرص الامويون في الاندلس ، على كسب صداقة الدويلات ، التي نشأت بجوار العلويين الادارسة ، كما حرصوا على توطيد صلاتهم بها ، وذلك بغية اضعاف جيرانهم ، «الادارسة » من جهة ، والاغالبة من جهة اخرى ، والحد من نفوذهم المتزايد .

= الجزء المخطوط ورقة 105 ـ د. عبد العزيز سالم ، تاريخ المسلمين وآثاره الأندلسى ، ص 248 ، 259 ومايليها ـ سيمون حايك : الناصر لدين الله أول خليفة في الأندلس ، ص 42 ومايليها بغداد سنة 1962م .

(1) ابن القوطية : افتتاح الاندلس ، ص 91 ـ 92

علاقة الامويين ببنى صالح اصحاب نكور

ومن بين الدويلات أو الامارات ، التي كانت لها علاقة طيبة مع بنى أمية ، امارة بنى صالح أو « نكور » التي أسسها صالح بن منصور الحميرى ، المعروف « بالعبد الصالح » ، بمنطقة الريف المغربي (1) وفي عهد حفيده سعيد بن ادريس ، بنيت مدينة « نكور » ، التي اصبحت منذ ذلك العهد ، ميناء هاما في تنشيط حركة التجارة بين المغرب الاقصى وموانىء الاندلس (2) .

وعلى الرغم من المنازعات الداخلية ، التي كانت كثيرا ما تنشب بين افراد الاسرة الحاكمة ، ومالاقته من عناء كبير ، من جراء مقاومة تيار الخوارج والادارسة ، فانها بقيت محافظة على كيانها ، واستقلالها عدة قرون ، وربما يرجع السر في ذلك الى وقوف الامويين في الاندلس الى جانبها ، وتدعيمها ماديا وسياسيا ضد أصحاب « فاس » (3) . وخير دليل على هذه المساعدات ما قدمه لها الامير ، محمد بن عبد الرحمن الاوسط ، عندما قام بافتداء الأميرتين الأسيرتين « خنعولة » و « آمة الرحمن » من بنات واقف بن المعتصم بن صالح ، اللتين وقعتا في يد النورمانديين ، اثناء هجومهم على مدينة نكور سنة 245 هـ / 859 م (4) .

ويشير البكرى ، الى أن العلاقة بين هذه الامارة ، وحكومة قرطبة ، كانت ودية وطيبة ، اذ كان بنو صالح في نكور ، يواصلون بنى أمية في الأندلس ويداهنونهم .

والظاهر أن الاسطول الاندلسي ، في عهد الامير محمد بن عبد الرحمن ، كان يقظا ويقوم بمجهود كبير ، لايغفل عن حراسة شواطىء الاندلس ، وربما كان يراقب بالإضافة الى ذلك شواطىء المغرب ، فقد جاء في رواية ابن عذارى ، انه لما خرجت مراكب المجوس ، للمرة الثانية سنة 245 هـ / 859 م على سواحل المغرب باثنين وستين

---

(1) حول قيام هذه الامارة انظر كتاب البكرى ، المغرب ، ص 90 ومايليها وابن عذارى : البيان ، جـ1 ص246 ومايليها وابن الخطيب : اعمال الاعلام القسم الثالث ص 171 ومايليها ـ وابن خلدون : العبر ، جـ1 ص 439 ومايليها . .

(2) الاستبصار ، ص ، 136 .

(3) L. Provençal : Histoire, T. I., p. 247.

L. Provençal,: Histoire, T. I., p. 247.

(4) البكري : المغرب ص 92 أنظر أيضا :

(5) البكري : المصدر السابق ص 92 .

مركبا ، وجدوا البحر محروسا ، والسفن في حالة تعبئة تجرى من حائط الفرنجة ، الى حائط جليقية في المغرب الأقصى (1) .

وقد استطاعت البحرية الإسلامية في الاندلس هذه المرة أن تتصدى لمراكب المجلوس ، وأن تلحق بهم الهزائم الفادحة (2) .

علاقة الأمويين بالمدراريين اصحاب سجلماسة :

اما عن علاقة قرطبة ، بدولة بنى مدرار الصفرية بسجلماسة ، ملوك القبلة في أقصى جنوب المغرب (3) ، فغير واضحة وبخاصة قبل عهد الامير الاموى ، محمد بن عبد الرحمن الاوسط ، لان المصادر ، لم تقدم لنا معلومات تساعدنا ، على تتبع مراحل هذه العلاقة وتطورها .

ويبدو أن الصلات القرطبية السجلماسية ، قد ابتدأت مبكرة لاشتراك المدراريين والامويين في عداء بنى العباس ، وحلفائهم الاغالبة في أفريقية من جهة ، وعدائهم التقليدى للادارسة العلويين في فاس من جهة أخرى (4) ، فضلا عن كون اصحاب سجلماسة ، تربطهم ببنى رستم ، أصدقاء بنى أمية في الأندلس روابط التحالف والمصاهرة ، لذلك التقى الطرفان ، تجمعهما المصلحة السياسية المشتركة ، رغم خلافاتهما المذهبية وبعد المسافة بينهما .

وهناك ما يشير الى أن المدراريين ، كانت لهم منافذ على ساحل البحر المحيط

---

(1) ابن عذاري : البيان ، ج 2 ص 96 .

(2) العذري ، ترصيع الاخبار ، ص 118 ، 119 ، ابن عذاري : البيان ج 2 ص 97/96

(3) اجتمع أربعون صفريا ، من رجالات قبيلة مكناسة ، سنة 140 هـ / 757 م وبايعوا واحداً منهم سوداني الأصل ، اسمه « عيسى بن يزيد الأسود ، من موالي العرب ، ومن غلاة المذهب الخارجي الصفري ، ثم شرعوا في بناء مدينة سجلماسة ، لتكون كرسيا لحكمهم ، وبعد خمس عشرة سنة من امامة عيسى عزله أصحابه ، لمآخذ أخذوها عليه ، فقتلوه ، واختاروا أبا القاسم بن سمحو ابن واسول المكناسي من جديد ، انظر : البكري المغرب ، ص 149 .

(4) د . محمود اسماعيل الخوارج في المغرب الإسلامي ، ص 100 ـ 202 .

(الاطلنتي) . يتصلون منها بموانىء الاندلس كاشبيلية وشاطبة (1) . ويبدو ان هذه الصلات الطيبة والودية ، بين سجلماسة وقرطبة قد تأثرت بقدوم بعض العائلات الريفية المنفية من قرطبة الى سجلماسة ونزولهم بها . لكن ـ فيما يبدو ـ ان هذه الجفوة لم تستمر طويلا بحيث عادت العلاقة الى حالتها الاولى ، في عهد عبد الرحمن الاوسط وتؤيد ذلك ، المساعدات الاقتصادية ، التي قدمها ميمون بن مدرار الملقب بالامير ، الى صديقه عبد الرحمن الأوسط حينما حلت بالأندلس ازمة اقتصادية سنة 232 هـ / 847 م ، اذ قدم له كميات من الحنطة والسكر والثمر (2) .

وقد زادت الصلة الطيبة بين البلدين ، أواخر القرن الثالث الهجرى التاسع الميلادى أي في عهد محمد بن عبد الرحمن الاوسط ، الذي اتسم عصره بالاستقرار السياسي والاقتصادي ، وتشير بعض المصادر الى أن الامير محمد « خدمته ملوك البلاد المغربية واعترفت بطاعته تاهرت وسجلماسة » (3) . وتضيف رواية أخرى بأن بنى رستم وبنى مدرار « لا يقدمون ولا يؤخرون ، في أمورهم ومعظلاتهم الا عن رأيه وأمره » (4) . وهو الامر ، الذي يدل على مدى قوة سلطان محمد بن عبد الرحمن الاوسط ، واتساع نفوذه .

علاقة الأمويين بالبرغواطيين اصحاب تامسنا

أما عن طبيعة العلاقات ، بين برغواطة في المغرب الأقصى ، والامارة الأموية في الأندلس ، فيبدو أنها ظهرت منذ وقت مبكر ، بنشوء تحالف ودي بين البلدين ، أي منذ نشأة هذه الدويلة ، في النصف الاول من القرن الثاني الهجرى ، الثامن الميلادى باقليم « تامسنا » بالمغرب الاقصى ، في الاراضي الممتدة على طول ريف المحيط الاطلسي ، والواقعة ما بين سلا شمالا ، وآسفى جنوبا ، أو بعبارة أخرى ، ما بين مدينة

---

(1) الحميري : روض المعطار ، ص 21 L. Provençal : Op. cit., T. I., p. 248

د . محمود اسماعيل : المرجع السابق ، ص 105 .

Conde : History of the dominion of the arabs in Spain, vol. 1, p. 201.

(2) القلقشندي : صبح الاعشى في صناعة الإنشاء ، ج 5 ص 164 القاهرة 1922 م .

(3) ابن الخطيب : المصدر السابق ، القسم الثاني ص 24

(4) ابن عذاري : المرجع السابق ج 2 ص 108 ، ابن حيان : المقتبس ، ص 265 ـ 266 .

الرباط الحالية . وجنوب مصب وادى ام الربيع (باقليم دكالة) (1) . وينسب بعض المؤرخين تاسيس هذه الدويلة الى رجل اصله من برباط الاندلس نسبة الى وادى برباط جنوب الاندلس (2) ، يهودى الاصل ، يدعى صالح بن طريف بن شمعون البرباطى .

وكان صالح هذا قد رحل الى الشرق حيث تعلم من شيوخه علم الكلام . وفن الجدال ، كما تفرس في علم النجوم ، حتى نبغ فيه (3) ، ولما عاد الى « تامسنا » اظهر الاسلام ، وتنسك ، فمالت اليه نفوس البربر ، في تلك المنطقة ، وبعد ذلك ادّعى النبوة فيهم ، وزعم أن القرآن ، نزل عليه باللسان البربرى ، كما نزل على محمد باللسان العربي ، وشرع لهم ديانة جديدة ، ورثها ابناؤه من بعده .

وقد اجتمعت النصوص التاريخية ، على أن صالح بن طريف ، أوصى أبنه الياس بموالاة بنى أمية في الأندلس ، ومناهضة أمراء المغرب ، قبل رحيلة الى المشرق (4) . الا أن هذه العلاقات الطيبة والتحالف الودى بين البلدين ، فيما يبدو لم يستمر طويلا ، اذ سرعان ما فترت وتجمدت بسبب انتحال البرغواطيين الديانة الجديدة واظهارها ، والجهار بها ، لذلك كرههم المسلمون في المغرب والأندلس ، واستحلوا دماءهم ، وأوجبوا قتالهم وجهادهم ، لان هؤلاء البرغواطيين ، اصبحوا في نظر المسلمين مجوسا هراطقة مارقين على الدين ، وتجمع المصادر ، على أن ملوك العدوتين من ادارسة وفواطم وأمويين ، لم يتوانوا في محاربتهم ، وكانت لهم معارك مشهورة انزلوا بهم هزائم منكرة (5) ولكنهم لم يستطيعوا استئصال شأفتهم ، بل كان خطرهم يزداد ويشتد ، على المسلمين في المغرب ، وحدودهم تتسع على حساب اراضى المسلمين الى أن ظهرت دولة المرابطين ، الذين أتخذوا رباطات في حروبهم ضد هؤلاء البرغواطيين الهراطقة ، وقد قتل عبد الله بن ياسين في احدى هذه الحروب ، سنة 499 هـ / 1057 م (6) .

---

(1) ابن خلدون : كتاب العبر ، ج 6 ص 428 ـ راجع مقال د . أحمد مختار : العبادي الصفحات الأولى من تاريخ المرابطين ، ص 57 مقال مجلة كليّة آداب الإسكندرية العدد 21 سنة 1967 م .

(2) الإستبصار ، ص 197 .

(3) البكري : المغرب ، ص 138 ـ ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، القسم الثالث ، ص 182 .

(4) البكري : المصدر السابق ، ص 137 ـ الإستبصار ، ص 198 ـ ابن الخطيب ، المصدر السّابق ، ص 183

(5) ابن عذاري : البيان ، ج 1 ص 124 ـ ابن خلدون : كتاب العبر ، ج 6 ص 430 .
ابن خلدون : كتاب العبر ، ج 6 ص 432 .

(6) الإستبصار ، ص 198

وقد ظلت العلاقات بين قرطبة وبرغواطة ، على هذا النحو ، يشوبها الفتور حتى النصف الثاني من القرن الرابع الهجرى ، حيث جدد ولاء برغواطة للامويين في الاندلس ، ابومنصور عيسى ابن أبى الانصار ، بارسال سفارة يرأسها أبو صالح زمور بن موسى ، الى خليفة الاندلس الحكم المستنصر ، وذلك في شهر شوال سنة 352 هـ / 963 م (1) .

وخلاصة القول أن أمراء بنى أمية في قرطبة ، قد كوّنوا صداقة متينة ، واكتسبوا ولاء دويلات المغرب المجاورة لاعدائهم ، التقليديين الادارسة العلويين في المغرب الاقصى ، والاغالبة في افريقية ، فمدوا ايديهم الى بنى رستم أصحاب « تاهرت » شرقا ، وبنى صالح بنكور شمالا ، وبرغواطة في تامسنا على ساحل المحيط غربا ، وبنى مدرار في سجلماسة جنوبا ، وكان القصد من هذا التحالف هو تطويق الادارسة العلويين من جميع الجهات ، حتى لا يتسرب نفوذهم الى المناطق الاخرى من بلاد المغرب ، وبالتالى يمنعونهم من التطلع الى أرض الأندلس .

غير أنه يلاحظ في الوقت ذاته ، وعلى الرغم من استمرار الجو المشحون بالكراهية والعداء السياسي والمذهبي ، لفترة طويلة بين عواصم الغرب الإسلامي ، الاربعة : القيروان في أفريقية وتاهرت في المغرب الاوسط ، وفاس في المغرب الاقصى ، وقرطبة في الأندلس ، فانه من حسن الطالع لم تتعد هذه الخصومة اكثر من المناورات السياسية والاستفزازات الدبلوماسية ، ولا سيما بين الأغالبة والأدارسة ، وبين الأغالبة والأمويين اصحاب قرطبة ، ولكن على أية حال لم تقدم حكومات هذه الدول ، على انهاك قواها في صراع عقيم فيما بينها ، ولم تتحدث النصوص التاريخية عن وقوع مجابهات عسكرية مباشرة ، أو حروب فعلية ، اذا استثنينا الحروب التي وقعت بين بني رستم والأغالبة (2)

ولكن ينبغي الاشارة هنا ، الى أن الاغالبة لم يتورعوا ، عن تحريض حلفائهم الفرنجة للاستيلاء على الاندلس ـ بسبب موقف الدولة العباسية من بنى أمية ـ أو

---

(1) البكري : المغرب ص 135 ـ ابن عذاري : البيان ، جـ 1 ص 318 ـ ابن خلدون : المصدر السّابق ، جـ 6 ص 429 .

(2) حلول الصراع السلمي المذهبي راجع مقال :

Chick Backri : Le kharigisme berbère, p. 97.

تعضيد وتدعيم الثوار ضد أمراء قرطبة ، كما حدث مع صاحب أخطرثورة في الأندلس وأطولها مدة ، وهوعمر بن حفصون ، اذ لم يتردد الاغالبة في مساعدة عمر بن حفصون ، ويؤكد ذلك ابن حيان بقوله : « وتداعى أهل الشراليه ، من أقطار الأندلس ، وطمع في التغلب على جميعها ، وأظهر الميل الى دعوة المسودة من بنى العباس ، والقيام بها ارهانا لبنى مروان كلها ، فذكر عنه مشيخة من أهل كورتي اشبيلية ورِّية انه ، كاتب ابن الاغلب أمير أفريقية لبني العباس ، في اعلانه يدعوه ويلاطفه ، بالهدايا ، وابا ابن الاغلب إلا أن أجابه ، وكافأه عن هديته ، وطمع فيه ، وكان جوابه مشهورا عندهم ، فامتد أمل الخبيث عن ذلك واستعجل شره » (1) .

ولكن على أية حال لم يكن ابن حفصون صادقا في ولائه للاغالبة ، والعباسيين انما كان يتخذه مطية لتحقيق اغراض شخصية ، يكايد بها الأمويين في قرطبة متى شاء (2) . ودليل ذلك أنه قام بنفس السلوك مع الادارسة في المغرب الاقصى . فابن حزم يذكر لنا أنه خطب للقاسم بن ابراهيم الادريسي ، صاحب البصرة وجرت بينهما مراسلات ومكاتبات بشأن التآمر ، على العاهل الأندلسي (3) .

ولهذا يحتمل أن يكون للامير محمد بن الرحمن صاحب قرطبة ضلع في ثورة عبد الرزاق المديوني ، التي قامت ضد الأدارسة في فاس (4) . ولماظهر الفواطم في الشمال الإفريقي ، سارع عمر بن حفصون الى مخاطبتهم ، فأرسلوا اليه داعين من أمهر دعاتهم المخلصين ، ليحصنا ابن حفصون على التمسك بولاء الشيعة الفاطميين ، والدعوة لهم في الاندلس ، وقد أقام هذان الداعيان عند ابن حفصون ، وحضرا حروبه ضد أمير قرطبة ، ثم أعادهما الى افريقية ، بعد أن تظاهر بالطاعة والولاء للفواطم ، وارسل معهما الى الخليفة الفاطمي عبيد الله المهدى ، هدايا سينية (5) . وتطور أمر ابن حفصون في جنوب الاندلس ، واقتطع اقاليم كثيرة من الامارة الأموية وأسس فيها حكما

---

(1) ابن حيان : المقتبس ، ص 93 تحقيق الأب ملشور.

(2) محمود علي مكي : التشيع في الأندلس ، ص 9

(3) ابن حزم : جمهرة انساب العرب ص 44 ـ ابن عذاري : البيان ، ج 1 ص 233 .

(4) Fournel (H) : Les Berbères, étude sur la conquête de l'Afrique par les Arabes, d'après, T. 2., p. 21.

(5) ابن الخطيب : أعمال الإعلام القسم الثاني ص 37 .

مستقلا عن حكومة قرطبة ، جعل عاصمته حصن « ببشتر » وبخاصة في عهد الامير عبد الله بن محمد (275 ـ 300 / 888 ـ 912 م) ، والـذي كثرت في أيامه الفتن ، والثورات التي تفرعت وتطورت وتشابكت حتى اصبحت تصعب على الدارس مسك شعبها ، سواء من حيث المكان أو الزمان أو الموضوع ، فتارة فردية وأخرى جماعية ، اشترك فيها العرب ضد المولدين ، أو المولدون ضد العرب ، أو البربر ضد الولاة ، وتارة يتحالف بعض الثائرين ، وتارة أخرى ينفصم عرى التحالف ، وتطاولت على الأمير ، أيدى المعارضين في مختلف الكور الاندلسية ، حتى بجزأت أمارته الى أقاليم مستقلة . ولم يبق تحت سلطانه ، الا منطقة قرطبة وضواحيها (1) .

والظاهر أن الظروف الصعبة التي مرت ببني أمية ، خلال هذه الفترة ، شلت حركتهم وابعدتهم عن خلفائهم في المغرب ، فلم يستطيعوا تقديم المساعدات الى أصدقائهم الرستميين اصحاب « تاهرت » الذين بدا عرشهم يتهاوى على يد الداعى الشيعي ، والجيش الفاطمي ، الى أن زال نهائيا سنة 296 هـ / 909 م (2) .

كانت لابن حفصون اليد الطولى في هذه الفتن ، اذ أصبح له قوارب وسفن يتصرف فيها في شواطيء الجزيرة الخضراء ، ويستعملها في اغراضه التجارية مع بلاد المغرب وافريقية في الجنوب ، والدول المسيحية في الشمال ، ينقل بها الميرة ومختلف الاعانات والمساعدات الاقتصادية والعسكرية التي كانت تقدم له من قبل خصوم الامويين ، ويشير الى ذلك ابن حيان بقوله : « كان في ساحل (أي ساحل الجزيرة الخضراء) لابن حفصون واصحابه عدة مراكب بحرية يسفر بها لأرض العدوة ، في الميرة والتجارات ويقضون بها الحاجات فيتسعون بها أعظم التوسعة » (3) .

وقد صادف بخاصة تفكك الوحدة السياسية للإمارة الأموية في الاندلس ، وقيام الدولة الفاطمية في المغرب ، التي كانت تسعى جاهدة ، لمد سلطانها على بلاد الاندلس ، فانتهزت فرصة هذه الاضطرابات ، وحاولت الاستفادة منها .

---

(1) ابن الخطيب : المصدر السّابـق ، ص 31

(2) وحول سقوط دولة الرّستميين أنظـر :

Nègre André : La fin de l'Etat rustimide, p. 10-22. Revue d'histoire et de civilisation du Maghreb, Vol. VII, Alger, 1969

(3) ابن حيان : المقتبس (مخطوط) ورقة 48

وكان على الأمير عبد الرحمن الثالث ، أن يتخذ سياسة ملائمة في هذه الحالة ، تتسم باللين تارة وبالشدة تارة أخرى ، وقد استهل عمله بانفاذ الكتب والرسائل الى مختلف الكور الاندلسية يدعو فيها العمال ولا سيما الثائرين منهم الى التزام الطاعة والولاء ، ووعدهم بالمال والجاه ، والسلطان ، إذا ما استجابوا له كما هدد في الوقت نفسه كل من لم يستجب لندائه بالحرب وبالتشريد ومصادرة الأموال (1) .

وكان لهذا النداء وقع حسن في نفوس الرعية ، التي سئمت الحياة المليئة بالحروب وبالفوضى ، لذلك أسرع كثير منهم الى الطاعة ، وبعثوا بولائهم لعبد الرحمن الثالث ، وقد اضطر هذا الأمير أن يستنزل أهل العصيان منهم اكثر من عشرين سنة ، حتى أخضعهم جميعا ، وأعاد الوحدة لربوع الاندلس ، واستقام له الأمر فيها (2) .

وبالاضافة الى انشغاله في الداخل باخماد الفتن والثورات ، كان شديد الحذر من الفواطم في المغرب ، وما يقومون به من توسعات على حساب الأراضي المغربية

وأول خطوة خطاها في هذا الشأن ، هي تطوير الأسطول البحري الأندلسي وجعله قادرا على حماية شواطيء بلده وبخاصة الشواطيء الجنوبية المواجهة للشواطيء المغربية ، والتي اصبحت مهددة بالغزو الفاطمي ، وزاد في توسيع دور الصناعة في مختلف الموانيء الاندلسية الجنوبية ، منها ، والجنوبية الشرقية ، كما قام بتحصين الثغور والمدن الساحلية ، وشكها بالجنود وشحنها بالمؤن وبالعتاد .

وقد توجه عبد الرحمن الثالث بنفسه ، الى الجزيرة الخضراء في شهر ذى القعدة سنة 301 هـ / 913 م . لاخضاع الثوار ، وتنظيم شؤونها (3) ، ويشير الحميرى في هذا الصدد ، الى أن العاهل الاندلسى ، بنى فيها ـ أي الجزيرة الخضراء ـ دارا لصناعة السفن وأتقن بناءها وعلى سورها ، لأنها كانت أقرب مدن الأندلس مجازا الى العدوة المغربية (4) ، كما قام بتشييد قصر في جزيرة طريف لاتزال آثاره موجودة الى اليوم (5) .

---

(1) أحمد مختار العبادي : في تاريخ المغرب والأندلس ، ص 180

(2) المقري : نفح الطيب ، جـ 1 ص 331

(3) ابن حيان : المقتبس (مخطوط) ورقة 48

(4) الحميرى : الروض المعطار ص 73 ـ 74

(5) Terrasse (H) : Histoire du Maroc, T. I., p. 156.

ونظرا لاهمية الموقع الاستراتيجي لهذا الثغر وخطورته ، فقد جعله الامويون من اختصاص احد امراء البيت الاموي (1) . وقد خرج عبد الرحمن الثالث متصديا للسفن التابعة للثائر ابن حفصون ، فاحتجزها وأحرقها ، وقطع بذلك مرافق البحر على ابن حفصون من حد الجزيرة الخضراء الى حد تدمير ، ومنذ ذلك الوقت لم تجر لابن حفصون سفينة ، وفي هذا الصدد يقول ابن حيان : « فاخرج الناصر لدين الله الحشم في طلبها ، (أي سفن ابن حفصون) وأخذها . وقد كان الفسقة (أي الثوار) لجأو بها في البحر ، فادخل الجند خلفهم ومضوا في أثرها ، وقبضوا عليها ، فعيدت برمتها الى ضفة البحر ، وأحرقت جميعها بين يديه ... فاستدعى ـ أي عبد الرحمن ـ جملة من المراكب البحرية من مالقه واشبيلية ، وغيرهما من مدن الطاعة ، وركابها من أولى الاستقامة فاقامها في باب الجزيرة ، وشحنها بصنوف الاسلحة والعدد ، واعد فيها النفط والآت حرب البحر ، وأدخل فيها ركاب من البحريين والنوانية ، وسواس البحر ، وأمرهم بالتجول في السواحل كلها ، من حد الجزيرة الخضراء ، الى حد تدمير ، وقطع مرافق البحر كلها عن ابن حفصون وأصحابه ، والا تجرى في البحر باركة (2) الا لأهل الطاعة فقط ، فملك البحر منذ هذا الوقت » (3) وكان الغرض من هذا الاجراء كله قطع المساعدات التي كانت تقدم لعمر بن حفصون ، سواء من طرف الفواطم في بر العدوة من الجنوب ، أو المسيحيين في الشمال . ولم يكتف عبد الرحمن الثالث بهذا بل مد يده الى « ابن قرهب » حاكم جزيرة صقلية ، الثائر على عبيد الله المهدي ، يمده بالعون ويشجعه ، على محاربه الفاطميين ، وعدم الدخول في طاعتهم ، وتشير بعض المصادر ، الى انه ترددت الكتابة بين عاهل الاندلس وحاكم جزيرة صقلية ، وكان هذا الاخير يطلعه على أحوال الجزيرة ، ملتمسا منه العون والمساعده فأجابه عبد الرحمن ، شاحذا عزيمته ومؤكدا بصيرته ، ولما قام عليه أنصار المهدى في صقلية يريدون خلعه عزم على العبور الى الاندلس ، فاكترى مراكبا وشحن فيها أمواله ومتاعة ، الا أن أهل الجزيرة الموالين للفاطميين ، حالوا دون اقلاعه ، فمسكوه وبعثوا به الى عبيد الله المهدى بافريقية وكان ذلك سنة 302 / 914 م (4) .

---

(1) احمد مختار العبادى : دراسات ص 72

(2) باركه من الاسبانية Barca بمعنى سفينة .

(3) ابن حيان : المقتبس ورقة 48 ، ابن عذاري : البيان ج2 ص 166

(4) ابن حيان : المصدر السابق ، ورقه 52 ـ ابن عذاري : البيان ، ج1 ص 174

ولما احتل قائد الفاطميين في المغرب الأوسط «مصالة بن حبوس المكناسي» (1) مدينة «نكور» عبر أبناء سعيد بن صالح، صاحب هذه المدينة الى الاندلس، واستقروا بمدينتي «مالقة» و«بجانة» بالعدوة الاندلسية (2). فرحب بهم أمير الاندلس وغمرهم بعطفه، وصلاته، وخلعه وخيرهم بين المقام «بمالقة»، أو القدوم الى «قرطبة» فاختاروا الأولى لموقعها الجغرافي، القريب من بلدهم، حتى يتسنى لهم العودة اليه حينما تسمح لهم الظروف بذلك (3).

وجاءتهم هذه الفرصة المرتقبة، بعد ستة أشهر فقط، من احتلال مدينتهم (4) عندما عاد «مصالة بن حبوس» القائد الشيعي، الى مقر اعماله في «تاهرت»، وترك على مدينة «نكور» أحد رجاله يدعى «ذلولا» الذي لم يمكث طويلا وتفرق من حوله معظم المشارقة (5)، ولم يبق معه الا القليل منهم، عند ذلك عزم أبناء سعيد على العبور الى بلدهم وتخليصه من «ذلول» وأعوانه، وقد اتفق الاخوة الثلاثة: ادريس، المعتصم، وصالح، على أن يجتازوا البحر في وقت واحد، ومن يصل منهم قبل غيره الى بر العدوة، كانت له الامارة.

ويروي البكرى قصة عبورهم بقوله: «وازمعوا ـ أي ابناء سعيد ـ الانصراف الى بلدهم، ثقة بمحبة رعيتهم لهم، وميلهم اليهم، فاتفقوا على ركوب البحر في مراكب مختلفة، فمن وصل منهم قبل صاحبيه فالولاية له ... فركبوا البحر من ذلك الموضع ـ أي مدينة مالقة ـ في ليلة واحدة ووقت واحد، وريح واحدة، فوصل أصغرهم سنا

---

(1) مصالة بن حبوس بن منازل المكناسي من قبيلة مكناسة، أتصل بعبيد الله المهدي، وكان من أعظم قواده وأوليائه، ولاه على مدينة «تاهرت» بالمغرب، وكان مصالة هذا يترأس مكناسة بمشاركة قريبه موسى بن أبي العافية، قبل انضمامه الى الفواطم، في أواخر المائة الثالثة / 9 م فعظم سلطانهما وتغلبا على قبائل البربر، انظر: ابن خلدون: العبر ج 6 ص 265، 266، 273 ويذكر ابن الخطيب انه من قبيلة «كتامة» وبدعوة بمصالة بن حبوس الكتامي. أنظر أعمال الاعلام القسم الثالث، ص 210.

(2) البكري: المغرب، ص 96 ويذكر كل من ابن عذارى وابن الخطيب مدينة «مقالة» فقط أنظر: البيان ج 1 ص 180، واعمال الأعمال، القسم الثالث ص 176.

(3) البكري: المصدر السّابق، ص 96، ابن عذاري المصدر السّابق ج 1 ص 180

(4) البكري: المصدر السابق ص 96 ـ ابن عذاري: المصدر السّابق ص 180، ويذكر ابن الخطيب شهرين فقط انظر المصدر السابق، ص 176.

(5) المقصود بالمشارقة الشيعة نسبة الى الداعي أبي عبيد الله الشيعي الشرقي.

صالح بن سعيد ، الى مرسى نكور في ليلته ، وأصبح له بالمرسى المعروف بوادى البقر بتمسامان .. (1) .

وعندما وصل صالح بن سعيد الى مرسى « نكور » اسرع البربر لنجدته من كل صوب وحدب ، وبايعوه أميرا ولقبوه باليتيم ،لصغر سنه ، وزحفوا معه الى ذلول ، فقتلوه وقتلوا من كان معه من المشارقة (2) . ثم كتب صالح الى الامير الأندلسي عبد الرحمن بن محمد ، يخبره بما تم له من نصر على اعدائه الشيعة فقرأ الخبر على منبر المسجد الجامع بقرطبة ، وأرسلت نسخ منه الى كافة اقاليم الاندلس (3) . ففرح عاهل الاندلس لهذا الانتصار ، وأمر بامداد آل صالح أصحاب نكور بما يحتاجون اليه من أخبية ، وكسى رفيعة وسروج وبنود وطبول وجميع أنواع الأسلحة ، من سيوف ودروع ، وعوضهم بما فقدوه في الحرب (4) ، وهذا دليل على حرص الأمير عبد الرحمن الثالث على مقاومة الانتشار الفاطمي في المغرب ، ومحاولة بسط نفوذه على هذه المنطقة وجذب الامراء المغاربة الى جانبه وكسب صداقتهم وولائهم ، كما عمل اسلافه من قبله ، ليجعل منهم حلفاء ضد اطماع الفاطميين ، الذين يهددون بلاده ، ولاسيما وأنهم حققوا مالم يستطع العباسيون تحقيقه من قبل في الاستيلاء على المغربين الأوسط والاقصى ، وأصبح لا يفصلهم عنهم الا ذلك الممر المائي الضيق ، الذي لا يشكل عائقا في وجه الانتشار العسكرى .

وهكذا بدأ الصراع يحتدم بين الفاطميين في المغرب ، والأمويين في الأندلس ، وأخذ عبيد الله المهدي يعمل جادا ، لاحتلال المغربين الأوسط والأقصى ، فوجه عدة حملات بقيادة عامله على مدينة « تاهرت » ، مصالة بن حبوس ، وكانت الحملة الثانية الى المغرب الاقصى ، سنة 308 / 920 م ، فقد استطاع أن يخضع مرة اخرى مدينة « نكور » لسلطان المهدى ، ثم توجه نحو مدينة « فاس » وعزل أميرها الادريسي يحيى بن ادريس ، وأقام مكانه ريحان الكتامي ، وكان سبب عزله كما تذكره النصوص

---

(1) البكري : المصدر السّابق ص 96 ـ 97 .
(2) ابن عذاري : البيان ج 1 ص 180 .
(3) البكـري : المغـرب ص 97
(4) البكرى : المصدر السابق ، ص 97

التاريخية هو سعاية موسى بن ابى العافية المكناسي ، الى ابن عمه مصالة بن حبوس ضد يحيى هذا ، وظل موسى كذلك حتى أوغر صدره عليه (1) فنفاه بعد أن سلب ماله الى بلاد الريف حيث يوجد ابناء عمومته ، الذين اضطروا أمام الهجمات الفاطمية المتكررة ، الى الانسحاب شمالا نحو منطقة جبال الريف المغربي ، وانشأوا فيها بعض القلاع وتحصنوا بها مثل : قلعة حجر النسر ، وأصيلا ، والبصرة (2) .. أقام يحي بن ادريس عندهم ثم ارتحل الى افريقية وفي طريقه تعرض له موسى بن أبى العافية ، وقبض عليه وسجنه بمدينة « لكاي » (3) عشرين سنة ، ثم اطلق سراحه ، وقيل انه توفي جائعا في المهدية اثناء حصارها ، من قبل يزيدبن مخلد النكارى ، سنة 332هـ / 943 م (4) .

وكانت سجلماسة هي الاخرى ، قد خرجت من يد عبيد الله المهدى . فتقدم اليها مصالة بن حبوس سنة 921/309 م ، ودخلها بعد أن هزم جيشها ، وقتل أميرها أحمد بن مدرار ، وولى عليها أحد افراد البيت الحاكم ، من الموالين للعبيديين وهو المعتز بن محمدبن مدرار ، وانصرف عائدا الى المهدية يخبر مولاه المهدي بما تم له على يده من نصر (5) .

وأخيراًلقي مصالة بن حبوس المكناسي حتفه في معركة عنيفة على يد الزعيم المغراوى الجزائرى محمد بن خزر رئيس قبيلة زناتة بضواحى « تلمسان » ، بعد أن هزم جيشه وعادت فلوله الى مدينة تاهرت سنة 312 هـ / 924 (6) .

البكري : المغرب ، ص 126 ، ابن ابي زرع : روض القرطاس ، ص 53 ، السلاوى : الاستقصا ، جـ1 ص 80 .

(2) أبن أبي زرع المصدر السابق ، ص 53 ، ابن خلدون : العبر ، جـ6 ص 274 السلاوى : المصدر السابق جـ1 ص 80 .

(3) البكـــرى : المصدر السابق ، ص 126 ، وفي روض القرطاس ، (ص 53)« الكاى » وعند (ابن الخطيب القسم الثالث ص 213 ، « الكاى » ويطلق عليها (السلاوى جـ1 ص 80) «آلكاى» وقد وصفها أحد الرحالة بأنها مدينة أوجبل كثير الخيرات بالقرب من مدينة « فاس » انظر : ابن الخطيب اعمال الاعلام القسم الثالث ملحق رقم (1) .

(4) ابن أبي زرع المصدر السابق ، ص 53 ، السلاوي : المصدر السابق جـ1 ص 80 : ويذكر البكرى (المغرب ص 126) أن وفاته كانت سنة 334هـ/ 943م .

(5) ابن عذاري : البيان جـ1 185 L. Provençal : Op. cit., p. 93.

(6) ابن عذاري : المصدر السابق جـ1 ص 189

انحصر الادارسة ـ كما ذكرت سابقا ـ من ابناء محمد في الغرب حول مدينة البصرة ، وفي قلعة حجر النسر ، وهو حصن قام ببنائه ابراهيم بن محمد بن القاسم ، على قمة جبل من جبال الريف سنة 317 هـ / 929 م ،(1) شمال شرق مدينة القصر الكبير الحالية ، واستقر ابناء عمر في بلاد غمارة ، من تيجيساس الى احواز سبتة وطنجة شمالا (2) ، وبمركز العلويون من الفرع السليمانى ، في تلمسان وأحوازها . واقتسموا ثغور هذه المنطقة ، فكانت مدينة تلمسان من نصيب ابن ادريس بن محمد بن سليمان ، ومدينة « ارشقون » (3) ، لولد عيسى بن محمد بن سليمان ، ومدينة تنس لابن ابراهيم بن محمد وكانت سائر خواص تلمسان وأعمالها لبني يفرن ومغراوة (4) .

أما محمد بن خزر المغراوى ، زعيم زناتة فقد استولى على كثير من المناطق في المغرب الاوسط ، وبخاصة بعد تغلبه على مصالة بن حبوس قائد المهدىء سنة 312 هـ / 934 م . فاصبح نفوذه يمتد مابين وادى شلف شرقا الى خواص تلمسان وعلى الشريط الساحلي شمالا الى مدينة وهران ، كما استولى على شلف وتنس ووهران ، وولى عليها ابنه الخير بن محمد بن خزر (5).

وأما عن موسى بن أبي العافية المكناسي ، ابن عم « مصالة بن حبوس » ، فقد كان يترأس قبيلة مكناسة بالاشتراك مع « مصالة » منذ أواخر القرن الثالث الهجرى 9 ميلادى ، وكان سلطانه يمتد على المنطقة التي تسكنها قبيلة مكناسة بوادى ملوية من بدايته في شمال سجلماسة الى مصبه في البحر شرق مدينة مليلة . بالاضافة الى نواحى « تازة »« ؤ سول » ، وجرسيف ومليلة وما يليها من الجبال والتلول (6) ، وكان هذا الزعيم المكناسي يدعو للفاطميين متقيلا الادارسة العلويين ، الذين كانوا بدورهم يدعون للمهدى .

---

(1) البكري : المغرب ص 127

(2) L. Provençal : Op. cit., T. I., p. 95.

(3) مدينة ارشقول تقع على الساحل الجزائري بالقرب من مصب نهر تافنة وتقابلها جزيرة في البحر تسمى أيضا ارشقول وتدعى حاليا رشجون Rachgnon وقد بنى هذه المدينة عيسى بن محمد بن سليمان أنظر :
د . احمد مختار العبادي : في تاريخ المغرب والأندلس ص 202 .
Fournel : Op. cit., T. 2., p. 9, note (3)

(4) ابن خلدون : العبر جـ7 ص 52

(5) ابن حيان : المقتبس ، ورقه 105 ـ ابن خلدون : المصدر السابق ، جـ7 ص 53 ـ راجع كتاب :
L. Provençal : Histoire, T. 2., p. 94.

(6) ابن خلدون : العبر ، جـ6 ص 265 ـ 274 .

ويبدو أن الفواطم لما لم يتمكنوا من احتلال مصر ، رغم المحاولات العديدة التي قام بها أبو القاسم بن المهدى ، حولوا وجوههم نحو المغرب ، واهتموا به اهتماما بالغا ، والقوا بكل ثقلهم في سبيل ضمه الى ممتلكاتهم ، وبالتالى ينفدون منه الى الاندلس ، وكان عبيد الله يعتبر هذه الحروب والغزوات التي كان يخوضها جيشه جهاداً في سبيل الله ، ودليل ذلك ما قاله المهدي ، عندما أرسل ابنه أبا القاسم على رأس الحملة الكبيرة ، التي قادها الى المغرب سنة 315 هـ / 927 م . «اللهم أنك تعلم اني ما أردت بإخراجه ، الى المغرب الا رضاك ، ونصرة دينك واذلال أعدائك» (1) .

وكان الأمير عبد الرّحمن الثالث ، يترقب بكل اهتمام ، ما يدور من أحداث في المغرب ولا سيما تحركات أعدائه العبيديين في هذه المنطقة ، ولم يبق مكتوف الأيدي حيال هذا التوسع الفاطمي ، فبادر باحتلال ثغر مليلة الحصين ، سنة 314 هـ 928 م (2) . ليعزز انتصارات حليفه محمد بن خزرالله على الجيوش الفاطمية في أقليم الزاب ، وتاهرت وهوعمل بحري يعتبر الأول من نوعه في تاريخ الامارة الأموية في الأندلس ، اذ لم يسبق لأسطول أوجيش أندلسي أن دخل بلاد المغرب غازيا من الشمال ، منذ أن فتحها العرب في نهاية القرن الأول الهجرى / 7 الميلادي ، ومنذ هذا الإنتصار السهل الذي حققه عاهل الأندلس باحتلال ثغر هام على الساحل المغربي ، بدأ يتدخل تدخلا مباشرا ، في العدوة المغربيّة لكسب تأييد أمراء المغرب ورؤساء القبائل وولائهم ، وتحريضهم على الفواطم .

---

(1) ابن عذاري : البيان جـ1 ص 191 وحسن ابراهيم وطه شرف : عبيد الله المهدي أمام الشيعة الاسماعيلية ومؤسس الدولة الفاطمية ، القاهرة 1366هـ / 1947م . راجع ايضا : كتاب مؤلف مجهول (عاش في القرن السادس هـ) : العيون والحدائق في اخبار الحقائق ، جـ4 القسم الاول ص 339 / 340 ، تحقيق نبيلة عبد المنعم داود بغداد ، 1972 م .

(2) البكري : المغرب ص 89 ،انفرد البكرى بهذا الخبر دون غيره من المؤرخين .

راجع : L. Provençal : Histoire, T. 2., p. 94, not e (1)